٣- غورو وغزو آدرار والسلم ١٩٠٩

المرحلة الأولى : من ٦ دجمبر ١٩٠١- ١٩٠٨ يناير السير الحثيث نحو أطار

المرحلة الثانية : يناير – يونيو – مرحلة الانتظار – تنظيم التموين – تصعيد الجمالة.

المرحلة الثالثة : يونيو أكتوبر – احتلال واحات النخيل – السلم – هروب الألداء إلى الشمال

من مارس إلى نهاية نوفمبر كان علينا أن نواجه ما يقرب من ١٣٥ هجوما وكانت خسائرنا ترتفع إلى ٣ ضباط و٥ ضباط صف و١٣٤ قناصا قتلى و٧ أوروبيين و٤٠ من البلديين جرحى، ونهب العديد من قوافل التموين وقطعت أسلاك الاتصال بالتلغراف أكثر من ٢٠ مرة، ونهب أعداد من المواشي لا تحصى.

أمام هذه الهجومات الكثيرة والمفاجئة كانت مواقعنا وحامياتها على الأرجل عديمة الفائدة تماما. ومن جهة أخرى كانت فرق الجمالة الحديثة التي هي أيضا غير معززة بما فيه الكفاية وقليلة العدد مرهقة، وكان مؤطروها أيضا في مرحلة التمرن، وكانت مشلولة الحركة بفعل الهلاك العام للمواشي.

فكان علينا إذن أن نعترف بعجزنا إذن أمام عمليات النهب وعدم قدرتنا على حماية القبائل التي خضعت لسلطاننا.

وكانت الحيلة الوحيدة لوضع حد لهذه الحالة، هي- والجميع يعلم ذلك ـ أن نحتل وكر هؤلاء الناهبين، حيث يدبرون بعثاتهم، وحيث يلجأون بعد كل عملية.

" الكل يبين كما يقول العقيد غورو[١]: أن عقدة القضية في آدرار وأنه لا يمكننا ضمان السلم ما لم نرد هذه القبائل عاجزة. فآدرار معقل الحجارة وسط الرمل بواحاته الأربعين، وما تنتجه من تمر وشعير وقمح هو مخزن غلال الصحراء. هنا يجد تعساء البدو سد رمقهم، وهنا في حماية الجبال يدبرون في غبطة عملياتهم، وينفذونها بسهولة بالغة. ذلك أن ٢٥٠ كلم فقط تفصل آدرار عن الترارزة وتكانت بالكثير.

ونظرا لجودة مطاياهم، ومعرفتهم العميقة بالصحراء، ومن بين صفوفهم منشقون من الجنوب، قادة متميزون، يختار الناهبون مواقعهم وأوقاتهم، وبعد القيام بالعملية وخلال الأربع والعشرين ساعة يكونون خارج المتناول، حيث لم تكن تسمح الأوامر حينئذ بالمطاردة، وبعد دخولهم إلى آدرار يخفون غنائمهم أو يبيعونها في واحد من القصور الأربعة أطار، شنقيط، وادان ، أوجفت. فكانت حرفتهم هذه أكثر مردودية مما كان يمارسه أصحاب النهب ضد القوافل القديمة على حساب تجارة السنغال[٢].

---

(1) العقيد غور: السلم في موريتانيا

(2) نلاحظ هنا أن كل ما يتعلق بالتسهيلات التي يمنحها في هذه الفترة آدرار للناهبين من بقية بلاد موريتانيا ينطبق تماما في أيامنا هذه على وادي الذهب حيث يتشكل الناهبون ويقومون بعمليات النهب في آدرار.

وكان كوبولاني قد تنبأ بهذه الحقيقة:" في الصحراء من يضع يده على النخيل يضع يده على الرحل".

وتطبيقا لهذا المبدأ كان كوبولاني قد شرع في المسير إلى تكانت ومنها إلى آدرار، وبعد موته بسنتين كان علينا أن نعيد تنفيذ خطته الموقوفة، فوضعُ اليد على آدرار يعني ـ والكلُ يعلم ذلك ـ وضعَ اليد على مواقع السلاح ومخازن مؤن الأعداء.

وفضلا عن ذلك فإن الأهمية الخاصة لآدرار، أنه لا يوجد وراءه إلى الشمال حتى تخوم المغرب مكان مسكون يمكن أن يُموِّن المنشقين الرحل بصورة مضمونة، ذلك أن الصحراء التي تفصل آدرار والمغرب ليس فيها إلا نقاط ماء نادرة، متباعدة عن بعضها البعض، بعد المئات من الكيلومترات ولا يجوبها إلا قبائل كثيرة الترحال، وإنما تعيش فيها بفضل الميزات الاستثنائية لجِمالها.

وأما بيضان الجنوب فإنهم لا يغامرون في هذه النواحي أبدا إلا بشيء من الخشية. ويمكن إذن أن نتوقع قبول كافة قبائل آدرار للأمر الواقع وأن يعلنوا خضوعهم فور احتلال بلادهم.

وأما التدخل من قبل الشريف سلطان المغرب فهو أمر لايختشى منه، بيد أنه يمكن أن نقول: إنه لم توجد من موريتانيا قضية مغربية قط، فمن الناحية السياسية كما هو من الناحية الجغرافية والاقتصادية؛ المغرب وموريتانيا بلدان منفصلان ومستقلان عن بعضهما البعض، وتفصل بينهما فضلا عن ذالك أقاليم صحراوية

واسعة شاقة العبور، وقد توقفت العلاقات بينهما منذ إلغاء النخاسة، كما أن تطوير الملاحة البحرية تسبب في اختفاء القوافل القديمة.

وأيضا عند ما فكر السلطان عبد العزيز في استثمار حقوقه على موريتانيا بحجة أن مولاي إسماعيل كان قد استقبل في القرن السابع عشر ولاء شيوخ البيضان، فإن مبعوثه مولاي إدريس اصطدم بفكر اللدد والاستقلال لدى قبائل واد نون فضلا عن قبائل آدرار والحوض، وبعد الخسارة العسكرية التي مني بها مولاي إدريس خسئت الطموحات الشريفيّة بشكل مثير للشفقة.

فتوجه العقيد غورو إلى دكار وهو المفوض العسكري الجديد الذي استطاع أن يفهم الوضعية من خلال جولة قام بها في موريتانيا، وذلك من أجل أن يعرض على وزير المستعمرات م مليي لكروى *M. Milliès Lacroix* الذي كان حينئذ في زيارة مرور لهذا الميناء، ضرورة القيام بعملية. وبيَّن أن سياسة كوبولاني السلمية التي مكنته من التوغل وإرساء نفوذنا في أقاليم الجنوب وحتى تكانت لم تعد في النية، وأن المشكلة مطروحة من الناحية العسكرية لأن الأمر يتعلق بعدو يحاربنا، وأنه يجب في المقابل اتخاذ حل عسكري أي بمعنى الهجوم.

وقد أصبحت الفرصة مناسبة فيما يبدو بقدر ما يعتقد خصومنا الواثقون بأنهم في حصن منيع.

إنهم قتلوا كوبولاني وأوقفوا المسير إلى آدرار حيث إن الرتلين التعزيزيين الذين بُعثا إلى تجكجة لم يتجاوزا هذه النقطة إلى الشمال، وبقيت هزيمة انيملان دون ثأر، وتم إخلاء أكجوجت، وجمالة مانجان تم القضاء على بعضها وظل البعض عاجزا. كل ذلك خلال سنة ١٩٠٨ كلها وأخيرا بقينا نحن بالرغم من هجوماتهم المتواصلة على مستوى الدفاع.

ويعتقد البيضان أننا لن نستطيع الذهاب لملاحقتهم، ثقة منهم في قوة ملجئهم في آدرار، الذي يتحصن وراء حزام صخري لا يمكن أن يُنفذ منه إلا من خلال عدد قليل من الممرات، وجهلاً منهم بالأوامر التي تربط فيما بيننا.

ومع ذلك تم اتخاذ قرار بالعملية، بيد أنه يقول وزير المستعمرات بعد ذلك في الغرفة: " إنه من الحكمة القيام بتضحيات مدروسة حتى لا نجد أنفسنا أمام تضحيات أكثر جسامة". وكُلف العقيد غورو بتنفيذ عملية احتلال آدرار.

ولهذا الغرض تم تجميع رتل من جميع أنواع الأسلحة يبلغ عدد أفراده ألف رجل تحت قيادة غورو بدون علم العدو الذي يظن أنه في أمان في قلعته الصخرية.

وخلال المرحلة العصيبة من نهاية سنة ١٩٠٨ وبالرغم من نشاط الأعداء والخسائر المتكررة التي كبدونا، والغارات الكثيرة التي زعزعت ثقة الموالين لنا فينا، وبالرغم من الأخبار التي تتردد بأننا

سوف نخلي تكانت، وبالرغم أخيرا من إحباط أصدقائنا ومن سلبية وسوء نية كثير من القبائل، بالرغم من كل ذلك فقد ظل تحضير وتنظيم هذا الرتل يسير بنشاط في بلد تجوبه عصابات النهب. وكان التركيز على المجرية إذ تم اختيارها كقاعدة للعمليات والرجال والجمال والذخيرة والمعدات والمؤن، لأنها لا تلفت انتباه المنشقين الذين كانوا بسبب غرورهم بنجاحاتهم ربما يعتبرون ذلك تهيئة لإخلاء تكانت تبعا لأوامر مولاي حفيظ.

كان ذلك عمل الرائد أكلودل *Claudel* الذي أخذ قيادة كتيبة موريتانيا في سبتمبر، وتم تجميع الفرق المكلفة بالمهمة في مجموعتين غير متساويتين في القوة؛ إحداهما في تكانت وهي الأهم، والأخرى في شمال الترارزة. هاتان المجموعتان تتجهان منفصلتين نحو آدرار حيث ستلتقيان في نقطة محددة.

غادرت مجموعة تكانت المجرية بقيادة مباشرة من غورو يوم ٦ دجمبر وكانت تتكون من:

❊ كتيبة موريتانيا : ٤ فرق من ٥٥٠ قناصا (الرائد أكلودل قائدا مساعدا)

❊ مفرزة الجمالة ١١٣ قناصا، ٢٠ من القوم، النقيب بلوميه *Plomion*

❊ قسم المدفعية الجبلية محمولة على الجمال، الملازم روبيرْ *Robert*

❊ كتيبة من الفرسان، ٣٠ حصانا، الملازم فيولي *Violet*

*** مجموعة من المناصرين البيضان، ٦٠ بندقية تقريبا، نقيب الخيالة ديبرتويس** *H.G.Dupertus*

- قافلة تتألف من ٣٠٠ شحنة بارود احتياطية لكل فرد، و٥٠٠ عيار مدفع ثقيل وشهرين من المؤن والمعدات الصحية الضرورية وطاقم لنقل الماء.

أي ما مجموعه ٢٤ ضابطا و٤٤ ضابط صف ومدفعي و١٠٠٠ من المحاربين البلديين منهم ٢٠٠ على الجمال و٨٠٠ جمل للحمل.

ومجموعة الترارزة تحت قيادة الرائد فريرجان وتتألف من فرقة سنغالية وفريق من المساعدين البيضان على الجمال، وقد غادرت "أكلال فاي" يوم ١٢ دجمبر.

وبما أن قصة العمليات سبق أن نشرت[1] فإننا سنكتفي بأن نعطي هنا ملخلصا وجيزا عرضه أحد ضباط الرتل النقيب ديبرتويس خلال الحفل الرسمي الذي نظمته شركة الجغرافيا في المدرج الكبير للسربون على شرف قائد وأعضاء رتل آدرار.

"تم تقسيم البعثة إلى أقسام أربعة، غادر الأول المجرية ليصل إلى مداخل آدرار وخلال تلك المدة لم ينكشف أمرنا، بيد أن العدو كان متأكدا من أننا لن نتمكن أبدا من الوصول إليه في وكره ولذلك أهمل مراقبتنا.

---

(1) العقيد غورو: السلم في موريتانيا

في المرحلة الثانية وصلنا إلى أوجفت وهنا دق جرس الإنذار، جمع العدو مقاتليه وخلال ١٥ يوما دارت معارك عنيفة انتهت بدخول الفرنسيين أطار، مما يعني انتصار أسلحتنا واستعادة هيبتنا. والمرحلة الثالثة تركزت في تموين السكان واتسمت المرحلة الرابعة بمعارك أخيرة للعدو الذي تمالك نفسه وشن حربا ضدنا، واتسمت بالجولات الأخيرة للجمالة وللفرق الممتطية وفرق الرائد كلودل *Claudel* وبالخضوع التام من الخصوم الألداء.

في يوم ١٦ دجمبر ذهبنا من المجرية بقافلة كبيرة، فمن لم ير هذه الطوابير من الجمال لا يمكنه أن يتصور صعوبة جعلها تتحرك وقيادتَها. تصوروا أن حمولة باخرة من البواخر التي ترون في نهر لاسن *La Seine* والتي تصل إلى ٣٠٠ طنا لا تتطلب أقل من ٣٠٠٠ جمل، حيث لايحمل الجمل الواحد أكثر من ١٠٠ كيلغرام، بيد أنه بتجميع مواردنا كاملة لم نستطع أن نجمع أكثر من ١٠٠٠ جمل وبمشقة. ومنذ سنة تقريبا كان العدو قد نهب جزء كبيرا منها، وقد كنا في حاجة إليها لقوافلنا وفي النهاية قام أصحاب الجمال المتبقية بجعلها تضل وكنا نكتفي بالبعران الصغار والنياق غير المروضة.

ومهما يكن من أمر فإن الرتل استطاع المسير بعد تعرضه لعراقيل حقيقية، وبفضل العون المخلص من النقيب كامي *Camy* والملازم غوسبي *Gouspy* الذين لن نفيهما حق الشكر على غيرتهما وحميتهما. وبعد عشرة أيام من السير وصلنا إلى أوجفت وبعد غد

واصلنا المسير إلى يغرف حيث كان الأمير الذي أشعر متأخرا يجمع مقاتليه.

وفي يوم ٢٥ دجمبر قام المساعد الجلالي الرجل الشجاع على رأس ١٧ من المناصرين البيضان بعملية استطلاع، وهوجموا في شعب "شمط" فقتلت بعثة الاستطلاع بكاملها ما عدى ثلاثة رجال استطعنا إنقاذهم. ويُظهر هذا الحدث أننا كنا مرصودين، مراقبين، وأنه من الضروري أخذ الحذر. وتم تطبيق نظام رقابة دائمة تبعا لأوامر العقيد الصارمة في حالة السير وفي حالة التوقف. ويمكنني القول بأن تلك الرقابة لم تشهد فتورا لحظة واحدة.

وقد ظل الضباط وضباط الصف يواصلون دورياتهم ليلا ونهارا، مع ما كان في ذلك من المشقة لنا نحن الأوروبيين، مما مكننا من تفادى كارثة في غسرمت وفي مواضع أخرى.

وقد وصلنا يومئذ إلى أماطيل الذي يوجد وسط سهل حيث العديد من الآبار بعمق ٧٥-٨٠ سنتمترا وحيث المراعي الجيدة، فقررنا إعطاء الجمال راحة كانت بحاجة ماسة إليها.

ووصلتنا هناك أنباء من الجنوب الغربي تفيد بأن الرائد فريرجان الذي غادر "الترارزة" لمد يد المساعدة إلينا طبقا لما صدر إليه به الأمر، قد وصل إلى "آزويك" وتفيد المعلومات التي وصلتنا بأنه تعرض لهجوم مرات عديدة، ولكنه قاوم بقوة في الموقع الذي تحصن فيه.

فقرر العقيد توزيع الرتل إلى فئتين، تكون الأولى مؤلفة من القافلة والموارد النفيسة والجمال تحت قيادة الأكفإ منا، فعينت النقيب بابلون *Bablon* وكان معه ٢٥٠ بندقية، وباقي الرتل يذهبون لمساعدة النقيب فريرجان.

وقد كان العقيد على حق عند ما أبقى الأكفأ منا في "أماطيل"، وبعد يوم واحد من ذهابنا هاجم العدو المعسكر بقوة متفوقة بكثير على قوته.

وفي الصباح كان المساعد فيكس *Vix* الذي يقود أحد الحصون للأسف قد هدم جزءا من الحصن ليعيد بناءه بطريقة أفضل، ولم ينتظر العدو إنهاء البناء وهجم بقوة. كان في الميمنة الملازم غوسبي الذي يقود المطايا في المراتع فقاوم في الموقع وأدخل المواشي وأخذ الملازم كوتانس *Coutance* موقعه إلى اليسار منه فجرح وأسره العدو الذي أصبح يقترب من كثيب إلى كثيب حتى وصل ٨٠ أو ١٠٠ متر من الحصن الذي يقوده المساعد فيكس، وفجأة أطلق النار بسرعة على الحصن وقتل المساعد فيكس والرقيب موكار *Moucard* والرقيب البلدي والعريف و٨ من أصل ١٥ مدافعا عن الموقع. ثم انطلق واستولى على الحصن بهجوم واحد. ولم يجد الرقيب جيهن *Gehin* الذي كان يقوم بتشغيل الرشاش الوقت الكافي إلا ليقوم بتغيب الرشاش عن متناول العدو، وقاوم ببسالة وأخذ جثة مساعده حتى لا يتمكن العدو من تجريده. وكان النقيب بابلون قد جرح لحينه هو أيضا برصاصة اخترقت ذراعه، ولكن بصره كان

يرقب كل شيء ويحدو مدويا: إلى الأمام! ينطلق الملازم ديبوك *Duboc* الذي كان بصره نحو قائده على رأس قسم ويلتحق بقسم الرقيب موكار *Moucard* الذي قتل للحين واستطاع أن يأخذ الموقع بفضل هجوم جيد بالحراب.

فأرغِم العدوُ على التقهقر ولم نسمع عنه طيلة ذلك اليوم. وخلال ذلك النهار وتلك الليلة الموالية قام القناصة في صبر محموم ببناء حظيرة (ازريبه) بارتفاع ٨ أمتار حول الحصون التي استُوليَ عليها في الصباح. ودوى من الغد طبل الحرب عند العدو وجاء للقتال من جديد وأعاد خطة الاحتراب نفسها. هجومان أو ثلاثة للتضليل، وفجأة ـ ويجب أن نكون منصفين لأعدائنا فقد كانوا أشداء ـ ظهر ٢٠٠ أو ٣٠٠ رجل على بعد ٤٠٠ مترا دون إطلاق أية طلقة وارتموا على الحصن، ولكن بفضل الدفاعات الثانوية التي تم ترفيعها خلال الليل توقفوا وتلقوا رشقا بالرصاص عن كثب، لكنهم حاولوا الدوران خلف الموقع إلا أن الرشاشات صنعت العجب وأرغِم العدو على إخلاء الموقع نهائيا وانسحب متخاذلا، وعلي أن أقول إنه إذا كنا استطعنا بعد ذلك قهر العبور بممر حمدون بسهولة نوعا ما فان ذلك عائد في جزء كبير منه لنجاح صديقنا بابلون الذي نحن له مدينون.

في تلك الأثناء كان معظم الرتل يتقدم نحو الجنوب الغربي، وفي يوم ١ يناير التحقنا بالرائد فريرجان الذي استطاع أن يثبت في معارك شديدة في الجبال وعدنا إلى أماطيل مرورا بممر تفجار

المعروف، إنه ممر منخفض غير عريض تحيط به الجبال الطوال، جدُ طويل، ولكننا كنا أخذنا الاحتياطات، فقد حاول العدو وقف مؤخرتنا، ولكنه لم ينجح في ذلك، وسرنا إلى آماطيل وكنا قلقين على مصير زملائنا. بعض البيضان قالوا لنا إن النقيب بابلون انتصر ولكن البعض الآخر كان يقول إنه فقد جزءا من التموين وأن فرقته خسرت قتلى وجرحى عديدين.

وفجأة أبصرنا في لفتة العلم الملون يرفرف عاليا على قمة شجرة، إنه العلم الذي رفعه النقيب بابلون ووصلنا "آماطيل" وقمنا بطمأنة الجرحى بحضورنا وبكلماتنا الطيبة والقينا تحية الشرف على الموتى ومن الغد توجهنا إلى حمدون وحمدون هو مفتاح آدرار، وكان العدو يعتقد جازما بأنه سيصدنا هنالك حيث كسب نجاحا باهرا قبل ذلك بسنتين ضد طرف حاول مطاردته في آدرار، وأخذنا نحن كافة الاحتياطات الممكنة واجتازت الطليعة العقبة وعند وصولنا أبصرنا أمامنا ما يشبه لسان أرض ينحدر مستقيما نحو السهل، يحيط به من اليمين ومن اليسار واديان لا يمكن عبورهما فكان يجب المرور على هذه الهضبة الضيقة للنزول إلى الوادي.

وإلى الأمام كانت توجد فرقة يبدو أنها كانت تريد أن تستفزنا، بل كانت في الحقيقة تريد أن توقعنا في شراك، ولكن البيضان الذين كانوا في المقدمة كانوا من التمرس في الحرب بحيث لا يمكن أن يستدرجوا للتعرض إلى الخطر بدون ترو، وكانوا يتقدمون بحذر مجتازين عقبة بعد عقبة، وفجأة فتح العدو النار من اليمين فردت

السرية الأولى التي كانت تدعم المناصرين، وتقدمت القافلة إلى الأمام بيد أننا كنا نخشى هجوما من الخلف متزامنا مع آخر من الجنب. ونصبت المدفعية والرشاشات على يمين الهضبة، وتم تنظيف المنحدرات التي كانت أمامنا. يجب أن نرى كيف يقاتل البيضان حتى نعلم شيئا عن قيمتهم، إنهم منافسون خطرون أفخاذهم عارية، بل إنهم بالمناسبة ينزعون سراويلهم الخفيفة، ويلتفون بقميص كبير ذي جيب واسع وبدون أكمام، ولديهم من السلاح البنادق الخفيفة: كرابين وأكياس الذخيرة والسيوف تعرفهم بطول شعورهم وعيونهم اللماعة، يقفزون من صخرة إلى صخرة يختفون خلف النتوء الصغير. يطلقون النار يُغيِّرون الموقع كأنهم وُعُول الجبال حقيقة، يتقدمون، يلتفون حول مواقع العدو، ويتفادون الكمين ويُسقطون الحصون التي يبنيها العدو؛ تساعدهم السرية الأولى التي تطلق النار بسرعة ويصلون إلى طرف الهضبة وينزلون منها مطادرين الأعداء من هنا وهناك. وعند الساعة الواحدة والنصف يُعلن قائد المناصرين[1] للعقيد بأن الممر أصبح حرا. مع ذلك فلم يستطع الرتل الانحدار إلا بعد ٥ أو ٦ ساعات، مع هذه السلالم الصخرية والأنقاض، بالجمال المحملة بالمؤن والذخيرة. وعند الساعة السادسة والنصف أو السابعة فقط استطعنا النزول إلى منخفض السهل، ولم يأكل الرماة شيئا منذ أمس لأنهم لم يوقدوا النار خشية لفت انتباه العدو، وكان البرد من الشدة بحيث أن أربعين

---

(1) النقيب ديبرتويسْ

من الجمال سقطت ولم تستطع القيام. وفضلا عن ذلك كان عندنا جرحى من بينهم الملازم لاتَنْكي *Letang* الذي كسرت فخذه عند المدفع الرشاش، وكنا نمشي بجرحانا ببطء حتى لانجعلهم يتألمون، وأخيراً وفي الساعة السادسة تم قهر الممر. ووصلنا في اليوم الموالي إلى أطار، وكان الرعب في هذه المدينة كبيرا، هؤلاء الناس كانوا يحاربوننا منذ سنة وشاركوا في معارك حمدون وأماطيل. وكانوا يتساءلون: هل سنتصرف إزاءهم حسب ما كانوا يتصرفون! بمعنى القيام بالحرس والنهب وسبي النساء والأطفال، ونهب المواشي. وشعروا باستغراب مشوب بالفرح عندما اتجهوا متضرعين لدى قائد الرتل وأحسوا لديه برحمة المنتصر. ولم يفرض عليهم العقيد إلا ضريبة من الأغذية كنا في حاجة ماسة إليها.

وفي اليوم الموالي، وتبعا لأوامر السيد الحاكم العام بونتي الذي له يعود الفضل في الحيوية والصلابة اللتين لا يدانيهما إلا معرفته العميقة بشؤون إفريقيا وتسامحه الكبير، تم نشر إعلان إلى علم أهل آدرار، وينص هذا الإعلان تقريبا على ما يلي:" لقد جئنا لمحاربتكم لأنكم أنتم هاجمتمونا، وكنتم منذ عهد قديم منشغلين بتقتيل السكان الذين هم تحت حمايتنا. والآن نحن الغالبون، فإذا كان هناك من يريد الاستمرار في الحرب فإن عندنا الذخيرة لأولئك. وفيما يعني أولئك الذين يرغبون في السلم فليتقدموا إلينا في حرية وسيذهبون كذلك. سنحترم الديانة والأخلاق والأملاك والنساء

والأطفال. والسلام على كل أولئك الذين منحهم الله فرصة الاستماع إلى خطابنا".

فظهر حينئذ هناك اتجاهان ـ وكان ذلك منتظرا ـ فأهل أطار ملاك المواشي من الأغنام والأبقار لما علموا بأنهم لن يستطيعوا الهروب عبر الصحراء جاؤوا إلينا وليس عليهم إلا أن يهنئوا أنفسهم. والآخرون توغلوا في الصحراء ولكننا نعلم كيف نمسكهم.

وقد أعلن الشيخ حسنا بن ماء العينين المعروف الذي ذهب مغلوبا بأن الفرنسيين يمرون في آدرار ببساطة كما يفعل غزاة البيضان، وأننا سنغادر قريبا ونترك هذا البلد فريسة للنهب. ولكي نُظهر بجدية أنه كاذب وبأننا ليس في نيتنا أن نغادر هذه الشعوب تم بناء موقع، وهذا الموقع- إذا سمح لي التعبير- هو الشوكة المغروزة في لحم آدرار.

ونقص عدد الجمال للأسف بسبب المسير القهري من الصباح حتى الليل، وأحيانا في الليل دون غذاء وأحيانا دون ماء، مما أنهك الجمال حقيقة لدرجة انه لا يمكننا الانطلاق فورا في مطاردة العدو، ولذلك بعث العقيد الجمالة الذين فقدوا مطاياهم إلى الجنوب للحصول على مطايا لهم والإتيان بجمال الركوب والحمل الضرورية لمطاردة عدو يبحث دائما عن التخفي.

من هنا بدأت المرحلة الثانية مرحلة التموين. قرر العقيد التوجه إلى الجنوب الغربي إلى تيزكي وترك الرائد أكلودل *Claudel* في

أطار، وجمعنا قبل ذهابه وأعطانا أوامره النهائية. وأوصى أولئك الباقين بأن يبقوا أبدا مرابطين وأنهى كلامه بهذه الكلمات: ابقوا كما انتم جنودا فرنسيين حقيقيين بمعنى أشداء على العدو في المعارك ولكن رحماء عند الانتصار".

وانطلقت قوافل تموينية في الجنوب وكنا بانتظارها بفارغ الصبر وخلال تلك المدة بدأت فترة انتجاع قاسية.

وفي تيزيك التي ذهبنا إليها لم يكن يوجد إلا بئر واحدة، حفرنا نحن ١٠٠ بئر بفضل شيخ الفنيين في الحفر الذي كان بوَّاقا قديما للجنرال أرشينارْ *Archinard* والذي وُسِّم وتقاعد والذي استأنف العمل لصالح الرتل. وكان يشتغل بتفان ليلا نهارا، وكان دائما يقول للعقيد:" لا تخف أيها العقيد فطالما أنني لم أجد الماء فإنني لن أجد النوم".

وأريد أيضا أن أنْصِفَ الملازِمين الذين كانوا يكلفون بمهمة حراسة المواشي في المراعي، والذين ظلوا كل يوم، بالرغم من الحر الشديد، يغدون في الساعة ٤ صباحا ولا يروحون إلا ليلا.

وخلال هذه المدة، كان النقيب بابلون قد بُعث إلى "غسرم"، حيث واجه يوم ٢٨ إبريل هجوما من طَلَبَةِ ماء العينين القادمين من السمارة مباشرة في خط مستقيم. كان ذلك خلال الليل، وكنا في هدوء عميق، وفجأة دوت صرخات؛ إنه العدو الذي استغفل رقابة الخفر ودخل المعسكر، فاستيقظ النقيب بابلون عند الطلقات

الأولى فانطلق وأعاد الجنود إلى مواقعهم، وتقدم نحو مجموعة من الرجال يحبسهم في ظلمة الليل بعض الرماة، فقتل عن كثب من قبل مجموعة من الأعداء كانوا وسط المعسكر.

وأصبحت الحالة حرجة فأُبْلِغ الملازم فيولي *Violet* الذي بعث للاستصلاح، النقيب ديبرتويس *Dupertuis* بأن النقيب بابلون أصيب إصابة بالغة، فقام النقيب ديبرتويس على رأس مجموعة من المناصرين وانسل إلى جناح المهاجمين الذين لم ينتظرونا. والبيضان (المناصرون) يزحفون في صمت وتخفٍ، ويقتربون إلى ٤٠ مترا، وفجأة يصيحون:" إلى الأمام، بالحراب" من النقيب ديبرتويس والملازم فيولي وارتموا على الأعداء بغتة. فلم يبق لهم من الوقت إلا ليطلقوا شحنة في وجوهنا، ولكن البيضان (المناصرين) طاردوهم وبمساعدة القناصة القوا بهم خارج المعسكر.

وللأسف فقدنا صديقنا، وكم كانت الخسارة بالغة كخسارة جندي(١) بارع كما وصفه المسيو الوزير في برقية بعث بها إلى العقيد غورو، ومن جهتنا نحن فإننا لم نبق مكتوفي الأيدي، فقد انطلقت غارة على صابون "اجريف" وأخرى على "للب" فجاءتا ببعض الأغذية والخراف والجمال. في الغارة الثانية، طارد المناصرون البيضان وجمالة السودان العدو على طول ٩٠٠ كلمتر، ولكن فترة الكيطنة بمعنى حصاد التمور قد اقتربت والعدو يحاول القيام بجهد جديد.

---

(1) بدأ بابلون في السنغال وتابع مهنته في تشا

وصل الولي أحد أولاد ماء العينين بجرأة إلى "أقصير الطرشان" على بعد ٢٥ كلمترا من أطار، وقد جاء لمحاربتنا، فتلقى النقيب ديبرتويس على رأس فرق راكبة، الأوامر بعبور ممرات تنزاك والهجوم على مؤخرة العدو ونجحت المساعي.

وفي يوم ٢٨ صباحا اقتربنا من العدو الذي كان يتقدم لملاقاتنا. فتقدم الملازم فيولي على رأس المناصرين ببسالته الرائعة، لكنه قتل برصاصة حطمت رأسه[1].

فحظي المناصرون الذين نكصوا لحظة بتعزيزات أولية من قوم الترارزة والجمالة، وبما أن الوضعية غير متضحة، قرر النقيب ديبرتويس أن يقوم بهجوم مفاجئ. فأمر الملازم أوبيرْ بأخذ قيادة قسمي القناصة واحتلال الربوة هجوما، فتم احتلال الربوة بصورة رائعة من قبل الملازم أوبير الذي جمع تحت قيادته المناصرين والقوم، وارتمي وعبر النخيل متجاوزا العراقيل رغم طلقات المدافع، وأخذ موقعا في الربوة واحتلها ركضا. فكانت الأحداث تتسارع، وأُمِر الرائد اكلودلْ المستقر في شنقيط بالذهاب إلى أولاد غيلان، وطردهم من هضبة واداان ودحرهم إلى الشمال. وكانت الفرق الراكبة تتقصى أثرهم لتلتحق بهم في سفح الهضبة. وبعد ثلاثة أيام من المسير وصلت الفرق إلى آرماكو، واستقر النقيب ديبرتويس الذي يقود السنغاليين في الممر، وبعث طليعة مؤلفة من ١٢٠ من البيضان إلى البَيّظ. وفي الغد باغت رقيب المدفعية ديبسْ *Dibbes*

---

(1) عند وصوله إلى اتشاد

مخيم الأمير بعد سير حثيث جدا ودحرهم واستولي على ٤٠٠ أو ٥٠٠ جمل.

ولكن ما هو هذا التراشق الذي نسمع إلى اليمين؟ نرى وميضا، إنه الرائد اكلودل الذي طارد العدو إلى المحلة بعد أن غلبهم في وادان يوم ٣٠ يوليو بسرعة فائقة، بالرغم من أنه ليس معه إلا المشاة، ولحق به وجعله خارج القضية.

أما سيد احمد ولد تكدي ـ وهو زعيم آخر ـ فقد استطاع الهروب إلى الشمال وعاد من الجنوب الغربي ودخل في ممر ارماكو معتقدا أنه خال فانقض عليه السنغاليون والفرق الراكبة، ولما لم يستطع أن ينجو بنفسه ألقى السلاح أرضا.

وأعطيت الأوامر بالمطاردة حتى النهاية.

واستأنفنا المسير على مطايا نشطة، واتجهت الفرق الراكبة إلى تورين حيث أشير إلى وجود العدو هنالك. والطريق الوحيد لـ"تورين" يمر ببئر الطالب، حيث توجد بئر، ولكن العدو كانت لديه مواقع مراقبة في هذا الموضع ـ واتضح ذلك فيما بعد ـ فقرر النقيب ديبرتويس عبور الكثبان في أوسع عرضها من الموضع الذي لا يمكن للعدو أن ينتظرنا منه.

وفي يوم ٩ دخلنا في الكثبان الصعبة لـ" مقطير" وخرجنا منها بعد ثلاثة أيام ووصلنا يوم ١٤ صباحا إلى بُعد ٣٠ كلمترا من تورين، وتوقفنا في منخفض لنُرتع جمالنا في انتظار المساء، وأرسلت

بعثات استطلاع عديدة، وتم ربط أفواه الجمال حتى لاتوحي الأصوات بوجودنا، وتقدمنا إلى تورين.

وفي الساعة التاسعة أبصرنا نيرانا كبيرة كإشارة على وجود العدو الذي لا ينتابه ريب في وجودنا هنا.

وفي ساعة من الصباح أصبحنا على بعد ٤ كلم، أشارت الاستطلاعات إلى أن العدو يسقي قطعان الجمال من آبار تورين العديدة، وتقدمنا إلى بعد ١٥٠٠ مترا فأُرسل المناصرون إلى اليمين مع الأمر بالهجوم على الميسرة من الشرق، فانطلقوا مثل صقور حقيقية، وتلقى القوم والأعوان مهمة مماثلة، فعليهم أن يهاجموا من اليسار ولا يتركوا أي منفذ للفرار إلى الغرب، وأما السنغاليون فسيسيرون في خط مستقيم إلى الآبار.

وبعد قليل سُمع صوت تراشق حثيث والتحم المناصرون البيضان مع العدو، وجاء السنغاليون لمساعدتهم وأطلقوا النار دفعة. وبعد قليل سُمع صوت البنادق إلى اليسار كثيفا؛ إنهم القوم والأعوان يمنعون الهروب إلى الغرب وأحيط بالعدو. فكل من لم يقتل أو يهرب إلى الشمال وقع في أيدينا وحسبنا ٤٠ قتيلا من المحاربين وثيرانا وخرافا وحميرا و٢٠٠٠ جمل غنيمة لهذه العملية وبهذا العدد الهائل من المواشي لم يكن بمقدورنا أن نفكر في مطاردة العدو فرجعنا إذن إلى أطار.

لقد غُلب العدو فعلا، ولكن بقيت أيضا بعض الغيوم في الأفق، فمادام هؤلاء الطلبة المشهورون لم يخرجوا من القضية، وما داموا لم يعادوا إلى الصحراء، وماداموا قريبا من أطار، فسيظلون يشكلون تهديدا لنا وتشجيعا للآخرين. لذلك قرر العقيد القيام بعملية استطلاعية كبيرة للفرق الراكبة، وليعطي هذه العملية صدى واسعا،ا أشرف بنفسه على قيادتها، فوصلنا إلى "العركية" سيرا حثيثا، ولم نجد فيها أحدا، ثم وصلنا إلى جبال الجل، ولم نجد أحدا أيضا، ثم وصلنا إلى سبخة الجل وكان العدو قد أخلاها من جميع النواحي، لقد تفرق العدو وحصل الهدف وسندخل في أيام قليلة إلى أطار.

وبالرغم من أننا لم نتمكن من اللحاق به، فإن العدو قد هُزم معنويا وعلم أنه لا المسافات، ولا العطش، ولا الحر، يمكن أن يوقفنا، فتخلى الطلبة عن الكفاح وأخذوا طريق العودة إلى المغرب، بعد أن فقدوا جزءا كبيرا من مواشيهم. كانت تلك فعلا هي النهاية، وجاء باقي الزعماء المنشقين ليعلنوا خضوعهم الذي قُبل منهم. غادر العقيد غورو آدرار ١٥ نوفمبر ١٩٠٩ تاركا قيادة المنطقة في يد الرائد اكلودلْ.

"إنه من الواضح كما يذكر في تعليماته التي ترك له بأنه من أجل القيام بعمل مستديم، يجب أن يجد السكان في الاتصال بنا مزايا تعوضهم شيئا عما في أذهانهم من التأسف على استقلالهم الذي فقدوه. يجب أيضا أن نغذي نشاط المحاربين الذين لم يعرفوا حتى

الآن إلا النهب، والذين يستجلبون منه حيوية لا تنثني. في بلد يقود فيه رجل أعمى مثل محمد الأمين ولد زمزوم وبنجاح غارة (مجبور). في بلد يطلب فيه رجل مسن مثل محمد بن المعيوف السير من جديد بعيد غزوة من ٩٠٠ كلمتر لا يمكن أن نغتر ونزعم إمكانية تحويل عقليات السكان في مدة وجيزة".

خلال سنة ١٩٠٩ كان انتباه البيضان موجها نحو آدرار، والأحداث التي جرت فيه. وتمتعت موريتانيا الواطئة بهدوء نسبي، ومع ذلك فقد جابت بعض العصابات "البراكنة" و"كوركول" وتعرضت القبائل الخاضعة التي لم تُقرر بعد الإبلاغ عن أضرارها، لخسائر جسيمة.

وفي سبتمبر في تكانت استولى فريق من ايديشلي على ٢٥٠ جملا لإدوعيش بعد أن هاجم إحدى قوافلنا من غير أن ينجح في ذلك.

وأهل الكدية وهي مجموعة من ادوعيش الأشداء، على رأسهم عثمان ولد بكار- سموا بذلك لأنهم يعيشون في الجبال - شنوا غارات عديدة في كوركول ولجأوا بعدها إلى الحوض.

وأنذاك أصبح آدرار الذي ظل إلى يومنا هذا يشكل بالنسبة للناهبين مركز تموين وملجأ وملاذا، أصبح منذ الآن محرما عليهم، فكانت آخر العصابات المنشقة تأتي تلو أخرى لتعلن خضوعها.

في أكتوبر يأتي اهميمد شيخ أولاد احمد. وفي بداية دجمبر يأتي ولد الخليل شيخ اركيبات أولاد موسى إلى أطار ويحضر لدى الرائد اكلودل، ويطلب منه الأمان باسم الأغلبية من اركيبات الساحل وأولاد ادليم.

قبيلتان مشهورتان بين قبائل بدو الشمال بالشجاعة وكثرة عدد المحاربين. وفي يوم ١٦ دجمبر حضر ولد اديد نفسه وهو الأشد مخافة بين الناهبين من أهل الجنوب إلى بوتلميت لدى الرائد غادنْ، وقبل الشروط التي أمليت عليه، وأعاد زهاء العشرين من الأسلحة ذات الطلق السريع وأغراضا تجهيزية تعود في مجملها إلى القتال النحس في لكويشيش حيث قتل الملازم ربولْ.

إن خضوع رجل كان حتى ذلك الحين يعتبر غير مقدور عليه، وكان زعيم عصابة جريئا وشجاعا، وجد صدى كبيرا في القبائل.

وانتشر السلم في كافة موريتانيا وحتى آدرار، حيث كان الرائد اكْلودلْ يتابع الإحصاء المنهجي للمخيمات وموارد الإقليم وقدرب ١٠٠,٠٠٠ فرنك مجموع المحاصيل الطبيعية التي يمكن أن تحصل فعلا خلال سنة ١٩١٠ في رسم العشور والزكاة.

* * * *

خضوع آخر المنشقين ومحاولات تطويع البدو الرحل والربط مع فرق تمبكتو واحتلال تيشيت ١٩١٢

لقد استلم المفوض الجديد للحكومة العقيد باتّي مهامه يوم ١ يناير ١٩١٠ ووضع تصورا للسياسة التي ستتبع في موريتانيا. وبما أنها كانت لحد الساعة معتمدة خاصة على قبائل الزوايا، فانه فيما يبدو أصبح من المناسب مستقبلا، إعادة بعض السلطة للشيوخ المحاربين، مما يمكننا من الابتعاد قليلا عن التدخل في السير الطبيعي للأعراف والتقاليد.

إن هؤلاء الشيوخ المفوضين من قبلنا والمقبولين من قبل الجماعة ستحدد صلاحياتهم بدقة وسيقومون اتجاهنا بدور مشابه لذات الدور الذي يقوم به شيوخ الإقليم لمحمية السنغال.

إن حركيّة فرق الاحتلال يجب أن تتضاعف من خلال تطوير وحدات الجمالة، واكتتاب بدو سنجعل منهم جنودا نظاميين شيئا فشيئا.

وسنحاول أخيرا تطوير العلاقات التجارية لموريتانيا مع المغرب، وتنمية المساعدة الطبية، وإنشاء مدارس يُبعث إليها أولاد الشيوخ. سياسةُ حذر وتهدئة لتقود إلى هدوء البلاد وضبط لحالة الأمن التي تم استتبابها للحين فى البلاد.

بعد العمليات الأخيرة التي قام بها العقيد غورو، تم بسط السيادة بصورة حقيقية على كافة نواحي الإقليم.

واحتلال آدرار بواسطة إقامة موقعين دائمين في أطار وشنقيط، أقنع السكان بنيتنا المقررة في احتلال البلد بصفة دائمة، فأعلنت القبائل المستقرة التي تعيش أساسا على النخيل خضوعها، وكذلك قبائل البدو الرحل التي تجوب في نطاق ميدان نشاطنا. وبقي فقط أفراد معزولون أو فصائل من بعض القبائل يخاطرون في خدمة أهل ماء العينين، فروا إلى الشمال لتضخيم محيط مرابط السمارة. ويوجد من بينهم الأمير الشاب ولد عيده الذي تربى في زاوية عدونا العنيد، والذي يبدو غير مقدور عليه.

وقد استبدلناه بأحد أبناء عمومته، ولأنه لا يستطيع دخول آدرار، فقد ذهب في مغامرة مع مجموعة صغيرة من المخلصين له في تخوم مجاله المفتوح.

ومنشقوا تكانت والترارزة الذين كانوا قبلُ يلجأون إلى آدرار هروبا من سلطتنا، فقدوا ملاذهم وجاءوا يطلبون أيضا الأمان.

ففي الترارزة يعتبر خضوع ولد الديد آخر عقْد سلمي.

وفي الشمال تعرضت هيبة ماء العينين لمساس حقيقي، فأولاده وتلامذته غادروا آدرار نهائيا، وبدأ هو نفسه يقلق على المستقبل، وفكر في مغادرة السمارة ليستقر في تيزنت في الجنوب المغربي، من أجل زيادة المسافة التي تفصلنا عنه. وتعهد مولاي حفيظ بقطع كافة العلاقات معه، ومنع المرجفين في الصحراء من الحصول على أي تشجيع، ودعم من النقد أو السلاح والذخيرة. وبعث رسائل في

هذا المضمار إلى سلطات سوس وواد نون، يأمرهم فيها بمحاربة تجارة السلاح في هذه الأقاليم.

بعض كبار الرحل الذين يجوبون أقاليم محاذية لآدرار، والذين يرغبون في المحافظة على إمكانية التزود بحرية لدى تجار ومزارعي هذه الواحة، أعلنوا هم أنفسهم أيضا خضوعهم. إنه الحال بالنسبة لبعض فصائل اركيبات وأولاد ادليم وأولاد بالسباع وبعض التجمعات المنتمية لاتحادية تكنه.

إن عدد الأسر التي رضيت بالخضوع لسلطاتنا لا يمثل من البقية إلا جزءا قليلا من مخيمات هذه القبائل، ولكن البدو الرحل يعتبرون أنه من المفيد لهم أن يكون من بيننا بعض ممثليهم الذين يخدمونهم كمخبرين للقبائل.

وسيمكنون أي منشق راغب في الدخول إلى آدرار من ذلك بدون أن يتعرض لأي خطر إذا امتزج بمخيماتهم.

إن أوكارهم التي ينتجعون فيها توجد إلى الشمال بعيدا، خارج الحدود الجغرافيةلآدرار ولدائرة التحرك الطبيعية لفرقنا المتحركة. فمواطنُ اركيبات في الزمور والنواحي المجاورة ، وأولاد ادليم في وادي الذهب، والتخوم الجنوبية للأطلس المغربي لأولاد بالسباع وتكنه.

إن هؤلاء المنشقين يبعدون عنا زهاء ١٠٠٠ كلم في المتوسط. ولكن هذه المسافة لا تعد شيئا بالنسبة للصحراويين المتفوقين مطايا

والمتعودين أن يجوبوا هذه الصحراء حتى الحوض وأزواد، وحتى ما وراء تومبكتو، في كل فصل خريف. فاستقرارنا في آدرار لا يعني وضع حد لنشاطات هؤلاء الحربية، وستشهد الأحداث على ذلك بسرعة.

في كل الأزمان كانت عصابات القرصنة في الصحراء تنتجع في ما بين آدرار والمغرب، وفي وادي الذهب، ودائما في آفطوط.

من هنا وخاصة من إقليم زمور والساقية الحمراء ينطلق الغزاة ناهبين؛ ليس في موريتانيا وحدها، ولكن في الحوض وأزواد كذلك.

ولم تعد لدينا مشكلة مستقبلا إلا مع هذه العصابات، وذلك ما جعل طابع العمليات اللاحقة يتغير تغيُّرا تاما. فقد كنا سابقا نحارب قبائل نحتل أرضها، وكانت تدافع عن استقلالها. ومن الآن فصاعدا أصبحنا نقاتل بمساعدة هؤلاء غزْوا مشتركا خارجيا. ويمكننا القول كذلك إنه بعد رتل آدرار انتهى عهد عمليات الغزو في موريتانيا، فلم نشارك قط بعد ذلك إلا في سلسلة من العمليات التفصيلية التي هي عبارة عن هجومات سريعة ومفاجئة لمنشقين ضد المخيّمات المحمية من قبلنا ومواشيها من جهة، ومن جهة أخرى مطاردات تقوم بها وحداتنا الجمالة ضد الناهبين أو عمليات أمنية ذات هدف ردعي أو ثأري.

ومع ذلك فإن الناهبين لا يكتفون دائما بمحاولة سلب أتباعنا، ولكنهم عند الاقتضاء إذا شعروا بالقوة وقدروا الفرصة مناسبة فإنهم لن يترددوا في محاولة القيام بضربة ضد إحدى مفارزنا، أملا في التمون من السلاح والذخيرة. وهي غنيمة ثمينة ومشتهاة جدا.

ذلك أنه بالرغم من أن الحصول عليها ينطوي على مخاطر حقيقية، كم هو ثمين أن يمتلك البدوي سلاحا سريع الطلق وصندوقا من الذخيرة، فهو إذْ ذاك لم يكن يتردد في دفع قلوص فتيَّة مقابل ٥ رصاصات، وأي جراءة يمكن أن يشعر بها البيضاني الذي يملك بندقية من نوع كرابين وجيبا مليئا من الذخيرة الجيدة، ذلك أنه بالنسبة له يعني هذا ـ إن شاء الله ـ إمكانية نهب عشرات من الجمال.

إن حماية القبائل الخاضعة من هذه العصابات، وهؤلاء اللصوص، أصبحت من الآن مسؤولية فرق الاحتلال أو على الأقل الجزء المتحرك من هذه الفرق. أي الجمالة، بيد أنه لم يعد مقبولا أن نستخدم ضد هذه العناصر المتحركة بأقصى حد الفرق الراجلة.

فهذه الفرق المؤلفة من القناصة السنغاليين تحتل المستويات الثلاثة للمواقع الدائمة التي تبرر مراحل توغلنا.

في الجنوب خط أولي غير بعيد من النهر "المذرذرة"، "بوتلميت"، "ألاك"، "كيهيدي"، "امبود".

في منتصف الطريق من "آدرار" توجد "تكانت" المنطقة الصخرية الملائمة للترصدات من قبل الناهبين، "المجرية"، "تجكجة".

وأخيرا الخط الأخير ويشكل تغطية من جهة الشمال، "شنقيط"، "أطار"، و"انواذيبو".

إن هذه المواقع ليست إلا عناصر للدفاع عن الاحتلال، محارز احتمالية للدفاع عن القوات الكبيرة خاصة واحتياطات الغذاء والذخيرة، وحماية سلطات الاحتلال.

إن شبكات المراقبة التي تتشكل من هذه الخطوط المتتالية ذات فتحات واسعة جدا، بيد أن بين أطار وانواذيبو ما لا يقل عن ٤٠٠ كلم.

والخيالة نفسها هي أيضا عديمة الفعالية في هذا البلد الذي تغوص فيه حوافر الخيل عميقا في الرمل المتحرك، مما يجعلها لايمكن أن تقاوم في السرعة الجمال ذات الأقدام البلاستيكية العريضة.

وفضلا عن ذلك لا يمكن للخيل أن تقاوم طويلا الآثار القاتلة للمياه المالحة التي تشكل لزوما شربها الدائم، ومحاولات استخدام الفرسان السنغاليين تم التخلي عنها منذ مدة.

* * * *

لا يقاوم الجمل إلا الجمل

فالعنصر الحيوي لفرق الاحتلال سيكون إذن لزوما هو الفرق الممتطية الجمال. فعليها وحدها أمن البلاد، وكل الجهود يجب أن تبذل من أجل التمسك بهذه الفرق في أحسن حال ممكن ماديا ومعنويا.

ووكلت مهمة مراقبة تخوم الصحراء إلى أربع تجمعات متحركة: جمالة آدرار المؤلفة من ١٧٠ قناصا سنغاليا و١١٠ من الحرس البيضان والنقيب بلوميون *Plomion* إلى الشرق والملازم ديفور *Dufour* إلى الغرب والذي يمتد ميدان نشاطه من المحيط إلى الخلوية إلى التخوم الشرقية لحفرة وادان؛ أي بعرض ٨٠٠ كلم تقريبا.

جمالة الترارزة وهى تشكل نحو الجنوب خطا دفاعيا ثانيا، والتي تُكلف بمهمة مطاردة العصابات التي تفلت من خطة الرقابة السابقة. وخلال فصل الترحال أي في الخريف يصعد جمالة الترارزة إلى آدرار غالبا من أجل تضييق فتحات شبكة المراقبة.

قسم جمالة كيفه التي تحصن من الجهة الجنوبية الشرقية هذه التشكلة.

وأخيرا قسم تكانت الذي اعتبر إنشاؤه ضروريا وهو قيد التكوين.

ولإكمال هذا التنظيم طلب من قبائل البيضان أنفسهم تقديم يد المساعدة ضد العدو المشترك، بل إنهم هم المعنيون أولا، بيد أن

مواشيهم هي التي يستهدفها الغزاة، وقمنا بتسليح أولئك الذين أعطوا ضمانات كافية من الإخلاص والولاء لنا.

ويُلزم الزوايا(المرابطون) بالإسراع بإبلاغ وحداتنا الجمالة بكل المعلومات الهامة والمتعلقة بأعمال هذه العصابات الناهبة. وأما المحاربون فعليهم تجهيز ثلاث فرق من القوم، واحدة في آدرار واثنتان في الترارزة ينظمها الأمراء، وينظمها ولد الديد نفسه الذي أعلن الخضوع بصعوبة منذ أشهر. وعلى هذه الفرق أن تلتحق لدى أول نداء بالفرق الراكبة للهجوم على الغزاة الناهبين.

إن عمليات الأمن هذه التي سنقوم بدراستها، عمليات قصيرة المدة، لا تتطلب في الغالب التحريك إلا لأعداد قليلة، ولكنها تجعل وحدات الجمالة في يقظة وانتباه دائم، وتلزمهم بأن يكونوا جاهزين باستمرار، بمعني أن تكون جمالهم على استعداد. ذلك أنه من غير المفيد محاولة المطاردة بمطايا منهكة. فإننا لن نُعرّضَها إلا للهلاك التام مع عدم إمكانية الحصول على نتيجة.

ويتغير نشاط الغزاة حسب الفصول، ففي الفصل البارد من أكتوبر حتى إبريل يكون الوقت مناسبا لهم، ذلك أن الرجال والجمال غالبا ما يحتاجون للشرب أقل، ويمكنهم استخدام خط سير ذي ندرة في نقاط المياه، لا يمكن استخدامه أو يمكن مع خطورة في فصل الحر.

إضافة إلى ذلك ففي فصل الخريف وخلال المرحلة الأولى من سير الغزاة الذي يتم بصورة بطيئة، تجد الدواب غالبا من مكان إلى مكان مراعيَّ من العشب الأخضر، حيث تستريح وتسمُن إلى الوقت الذي تصل فيه إلى مشارف منطقة العمليات، تبذل حينها جهدا مدعوما في الإسراع.

فصلُ البرد إذن يُعتبر كذلك فصل نشاط؛ في هذا الفصل يمكن لعصابات الغزاة أن يظهروا بصورة مفاجئة في أي نقطة كانت من تخوم الصحراء، وأحيانا بصورة تزامنية في عدة نقاط. هذه العصابات العاملة غالبا ـ كلٌ على حسابه الخاص ـ والعمليات التي سنتحدث عنها لاحقا لا يربط بينها رابط مشترك ولا علاقة بينها، وسيتم سردها من سنة إلى سنة باتباع الترتيب الزمني فقط.

من المناسب أن نسجل بداية الطابع الفجائي لعمليات الناهبين، فلم يتم قط الإبلاغ المسبق لقدوم غارة تم إعدادها في الخفاء في وسط هذا الإقليم غير المحتل، والذي يفصل آدرار التمر والأطلس المغربي والبعيد عن المناطق التي نملك الاستطلاع فيها.

إن وجود المستعمرة الإسبانية لوادي الذهب على الجانب الشمالي الغربي من أقاليمنا الصحراوية يزيد أيضا من سهولة عمليات الغزاة الناهبين. فالإسبان لا يجهزون في هذا الإقليم الواسع إلا حامية واحدة مستقرة في (الداخلة) لا تعرف كيف تضمن الأمن، وتمنع حق المطاردة لنا، فيكون من السهل على الغزاة في الصحراء تأمين أنفسهم بسرعة بعد عملياتهم.

في أغلب الحالات يمكن للغارة أن تمر دون أن يشعر بها أحد إلا في العودة، بفضل المعلومات التي يقدمها البدو الذين تعرضوا للنهب. في هذا الوقت يكون أصحاب الغارة مثقلين بغنائمهم، وتنطلق مفرزة من الجمالة في أثرهم، ويكون حظهم في اللحاق بهم أكثر إذا كان الإعلام فد حصل في وقت كاف، وإذا كانت الترتيبات المتخذة من قبل الوحدة الراكبة تمكن من المطاردة الفورية.

خلال السنوات الثلاث التي أعقبت غزو آدرار، كانت جمالتنا لاتستخدم فقط ضد الغزاة القادمين من الشمال ولكن أيضا ضد العصابات المنشقة من آدرار المنفصلة عن بقية قبائلهم الخاضعة. هاتان العصابتان القويتان، كل واحدة منها تتألف من ٦٠ بندقية ذات طلق سريع، وتعملان أساسا في آدرار وتكانت، إحداهما من أولاد غيلان برئاسة إبراهيم ولد مكيه، والأخرى تتألف من أهل احجور (فصيلة من قبيلة إديشلي) انضم إليهم بعض لكدادره.

كانت هذه العصابات تسكن الجبال منذ سنوات عديدة وتقطع الطرق في آفطوط بالأعمال الإجرامية في الهضاب التي تعرف وحدها ممراتها ومعالمها، وكانت تُعوض بقدر الخسارة التي تُمنى بها على يد مفارزنا بمغامرين آخرين من الصحراء.

وفورا وبعد استقرارنا بآدرار في نهاية ١٩٠٩ خيم سلم تام على كافة أرجاء موريتانيا وخاصة في دوائر الجنوب حيث القبائل التي ابتليت كثيرا خلال السنتين السابقتين والتي فرضنا عليها تضحيات جسيمة، استفادت أخيرا من السلم الموعود. وأصبح بإمكانها إعادة

إنشاء قطعانها ولم تدم هذه الوضعية طويلا، وخلال سنة ١٩١٠ تم تسجيل ١٢ هجمة من الغزاة القادمين من الشمال ومعركة لفرقنا مع عصابات المنشقين من الترارزة وتكانت.

إن كافة هذه الغزوات القادمة من الشمال باستثناء واحدة نشطت في "لعصابة"، استطاعت الهروب بغنائمها، قد تم اللحاق بها وسُلبوا الجزء الأكبر من غنائمهم وأحيانا يقتلون جميعا على يد جمالتنا أو القبائل المحاربة الخاضعة التي تمد إلينا المساعدة القوية لضمان أمن الصحراء.

أولا كانت غارة الركيبات المؤلفة من زهاء ٢٠٠ بندقية تمكنتْ من الانسياب داخل الترارزة بسلوك الساحل البحري من الغرب، وبعد ما نهبوا بعض المواشي هجم عليهم العلب وطاردوهم وعادوا إلى الشمال تاركين كثيرا من غنائمهم.

وبعد ذلك بمدة يسيرة هوجم ركب(مجبور) من أولاد ادليم قرب "بيركن" من قبل مفرزة من الجمالة يقودها الملازم ديفور، فقتلوهم جميعا تقريبا وقتل أحد المناصرين وجرح آخر.

وفي مارس جاءت غارة من ١٢٠ رجلا من أولاد بالسباع لنهب الركيبات الخاضعين فباغتهم هؤلاء بقيادة زعيمهم محمد ولد الخليل، فأبادوهم جميعا تقريبا. وتمكن منهم خمسة رجال فقط من الهروب. وكانت هذه المعركة إعلانا عن نهاية قوة أولاد بالسباع الذين كانوا سابقا أسيادا في الصحراء الغربية. ومنذ ذلك لم يعد

تفوق الركيبات مثار جدل. ووصل النقيب ابلوميون على رأس جمالته إلى موقع المعركة قرب "بركني" في اليوم الموالي.

وفي الشهر الموالي جاء فريق من الركيبات وساق جمال معسكر نغموشة على بعد يومين على الأقل شمال أطار، فانطلقت مجموعة من محاربي الأمير فورا في أثرهم ونجحت في سبقهم إلى بئر "بير أم قرين"، نقطة الماء التي لا بد أنهم سيمرون عليها عند عودتهم.

فما وصل الناهبون إلى البئر إلا وهم هلكى عطشا، فقُتلوا وأسروا. وأخيرا وفي بداية سبتمبر قامت عصابة من ثلاثين رجلا من الركيبات بنهب مخيمات من نواحي شنقيط، فطاردهم أهل احجور الخاضعون وفرقوا جمعهم واستولوا على جمال الركوب الخاصة بهم وعلى بعض البنادق. وخلال سنة ١٩١٠ وقعنا في نزاع أربع مرات مع عصابة أهل احجور المنشقة.

ففي يوم ١٣ يونيو عند "حاسي العركوب" هاجمت هذه العصابة قافلة تحرسها مفرزة مؤلفة من ٢٠ بندقية(١٠ من الرماة السنغاليين و١٠ من القوم البيضان).

فواجه العريف السنغالي بَكاري اتْراوري الذي يقود الحراسة، واجه العدو المتفوق عددا بمقاومة شديدة وكبده خسائر فادحة. دامت المعركة حتى الليل وعندها انتهز الغزاة فرصة الظلام للانفلات والفرار تاركين زهاء العشرة من القتلى. وكانت خسائرنا ٥ قتلى وجريحا واحدا.

وفي الشهر الموالي نهب أهل احجور زهاء ٧٠ جملا لدى اكَيِيرتْ ونهبوا قافلة محملة قرب دونارا أو دونابا.

فقام الملازم بركيون *Bourguignon* الموجود في قصر البركة مع جمالته بمطاردتهم ولحق بهم لدى تيزكي (بتكانت) وفرق جمعهم وقتل منهم رجلين واستعاد الماشية والبضائع المسروقة.

وفي يوليو قام الملازم بريي فونتن *Berrier Fontaine* على رأس ٧٠ من الرماة وبعض المناصرين من البيضان بمطاردة عصابة تسكن في هضاب آدرار بين "أوجفت" و"آماطيل"، كانت تُرهب المخيمات الخاضعة في الإقليم وأجبرهم على الفرار في اتجاه "تشيت".

وأخيرا في سبتمبر حدثت مواجهة أخيرة في آدرار بين أهل احجور ومناصرين من البيضان، فقد هؤلاء في البداية دورية خفر من أربعة رجال ولكنهم لحقوا بأهل احجور قرب "تودوشين" وأرغموهم بعد معركة على الفرار في اتجاه "تشيت".

من وجهة النظر السياسية اتسمت نهاية سنة ١٩١٠ بحدث ذي أهمية قصوى؛ عدونا اللدود الشيخ ماء العينين مات في تيزنيت في عوز تام تقريبا. وعُين ابنه الهيبة في خلافته، ولكن هذا الأخير لايملك كثيرا السلطة والنفوذ الذين كان أبوه يستخدمها ضدنا بشكل عنيد. إنها خسارة كبيرة للمنشقين الذين كان المرابط المسن يزودهم بالسلاح والذخيرة، وخاصة الأمير المتمرد ولد عيده الذي أمضى شبابه في السمارة.

إن هذا الأخير ذهب في البادية منذ منتصف السنة في ناحية الحوض، وقد غادرته فصيلة مهمة من مناصريه قبل قليل، الرقيبات السواعد الذين جاءوا إلى أطار لإعلان خضوعهم. وللتعويض عن هذه القوة يحاول أن يجند تحت لوائه عصابتيْ أهل احجور وأولاد غيلان، وهو وإن كان لم ينجح كلية لكنه استطاع أن يوقف التذبذب نحو الخضوع لهاتين المجموعتين المنشقتين واللتين توجدان في مأمن في الحوض. هذا الإقليم الذي لم يحتل أبدا، ولم تطأه أقدام فرقنا يُشكل فعلا قاعدة لأعدائنا للقيام بعملياتهم ضد القبائل الخاضعة وملاذا ضد المطاردة.

ونذكر حدثا آخر مهما حصل في هذه السنة ١٩١٠ محاولة جماعة برابر تفيلالت الدخول في علاقات تجارية مع آدرار، هذا الطلب الذي بدا أنه ليس من الحذر قبوله بسبب الوضعية السياسية والدينية في الشمال، وبسبب الزيارة التي قام بها إلى أطار القائد الاسباني (للداخلة).

❋ ❋ ❋ ❋

إن سنة ١٩١١ لم تكن أبدا أكثر هدوءا من سالفتها

فالعصابة وتكانت وآدرار والترارزة بالتتابع زارتها عصابات من الناهبين والتخوم الشمالية والشرقية كانت أكثر إضطرابا.

وكانت جمالة الشمال التي أعيد تنظيمها قبل قليل في ثلاث مفارز: اثنتان في آدرار، النقيب بنيو *Beugnot* في الغرب والملازم بركنيو *Bourguignon* في الشرق، وكتيبة جديدة في تكانت: الملازم أوبرْ *Aubert*، انطلقت هذه في مطاردة العصابات وكانت مطاردتها غالبا مكللة بالنجاح.

وازداد عدد البيضان المسجلين في تشكلة هذه الوحدات وأدمجوا في النظام الأساسي مع راتب منتظم وحق في التقاعد.

وفي بداية يناير نجحت عصابة من أولاد غيلان وأهل احجور في نهب زهاء الستين من الجمال من لعصابة.

وفي مارس انطلق الملازم بركنيو الذي كان ينتجع في تكانت في مطاردة عصابة أهل احجور التي أشير إليها في نواحي الرشيد وأصابهم مرتين، عند سبخة تيدماكوت، ثم بعد ذلك بـ ٧٠ كلم في شعب اغنمريت قريبا من عين الخظرة، حيث هرب العدو تاركا في الميدان ثلاثة قتلى وجريحين وزهاء الأربعين من المطايا، وفقدنا نحن بدورنا قناصا واحدا.

وخلال شهر إبريل أغار أهل احجور ولغلال من جديد على لعصابة، فقام محاربوا اشراتيت بمطاردتهم ونجحوا في استرجاع

معظم غنائمهم وقتلوا منهم ٦ رجال، وكانت خسائر هؤلاء أنفسهم ٤ قتلى و٤ جرحى. وفي الشهر الموالي كانت نكبة حقيقية يرثى لها.

عصابات أولاد غيلان وأهل احجور المجتمعون يهاجمون بغتة مفرزة من ٢٣ جمالا من جمالة كيفه يقودهم الملازم دمسيرْ *Demasser* فقتل من المفرزة ١٢ من بينهم الملازم، وجرح ٧ ووصل الباقون على قيد الحياة بصعوبة إلى كيفه وكلهم جرحى.

وفي يوليو لحق الملازم بركنيو لدى "بجار" مجموعة صغيرة من أهل احجور واستولى على مطاياهم بعد ما نجحوا في الاختفاء في الهضاب. وأخيرا في أكتوبر تم توقيف غارة لأهل احجور في تكانت من قبل مفرزة من الجمالة يقودها رقيب مفرزة جزائري، وبعد مطاردة خلال يومين قتل منهم رجلين وغنم بندقيتين و١١ حصانا.

في الشرق كانت قضيتنا مع عصابتي النهب: أولاد غيلان وأهل احجور، وفي آدرار والترارزة كنا على موعد مع منشقي الشمال: اركيبات وأولاد ادليم.

وقامت عصابة صغيرة من اركيبات الخاضعين، قادمة من شمال آدرار بشن غارة مربحة على زوايا الحوض في شهر مايو، ولدى عودتهم انطلق في أثرهم أهل احجور الخاضعون ولحقوا بهم عند الشويخ، فقتلوا منهم ٦ رجال وأسروا أربعة آخرين، وقتلت مفرزة

من الجمالة بقيادة الملازم بركنيوه واثنين آخرين والاثنان الباقيان تم أسرهما في أحد المخيمات.

وفي يونيو جاءت عصابتان من الناهبين قادمتين من وادي درعة، تتألف هاتان من اركيبات وأولاد بالسباع وتكنة، واتجهتا إلى الحوض ونهبتا في طريقهما مخيمات من اركيبات الخاضعين والمنتجعين في نواحي وادان، واختفتا دون أن يتمكن أحد من اللحاق بهما.

وفي الشهر الموالي قام ركب (مجبور) من ٤٠ من اركيبات بنهب ٢٥٠ جملالأولاد بالسباع الخاضعين قرب انواكشوط، وبعد ذلك بقليل استولى هؤلاء على عدد مماثل من الجمال من مخيم الأعداء.

وفي أغسطس وسبتمبر قامت عصابات صغيرة من أولاد ادليم واركيبات قادمة من وادي الذهب بنهب بعض الجمال من مراتع إينشيري، ولم تفلح المطاردة التي حاولها المحاربون في آدرار.

وفي يوم ١٢ سبتمبر باغت الملازم بركنيو لدى "المينان" عصابة من أهل النتاكي المنشقين من آدرار فغنم منهم ١٠ جمال وبندقية واحدة من نوع ٧٤ وجميع أمتعتهم.

ولكن العمليات الكبيرة هي تلك التي كانت تحصل في شمال الترارزة حيث يحاول فيلق قوى من أولاد ادليم واركيبات يتألف من ١٢٠ بندقية كان قد ذهب منشقا قبل مدة يسيرة، الاستيلاء على مخيمات أولاد ادليم التي ظلت خاضعة.

فنجح الفيلق في الوصول إلى آكنيتير ونهب ٣٠ جملا، مستغفلا رقابة الملازم شميتْ الذي كان ينتجع في آدرار صطف، وجر الفيلق معه العديد من المخيمات التي تبعته منشقة.

فتم اتخاذ قرار فوري بالقيام بعملية نشطة. فبينما كان الملازم شميت يراقب طريق العودة انبرى الملازم برتومي *Berthomé* قائد جمالة الترارزة في أثرهم مدعوما بزهاء ١٥٠ من المناصرين البيضان.

وانقسم الفيلق إلى مفرزتين أضعفهما كانت مؤلفة من ٢٠ بندقية، وقد تم اللحاق بها لدى اتويزكت على يد مجموعة من الجمالة حيث قتلت منهم أربعة رجال وجرحت العديد واستولت على ١٥ مطية وأربعة مدافع ذات طلق سريع.

والقسم الأكبر من الغارة اتجه نحو المخيمات الخاضعة التي تمد الملازم برتومي بالمناصرين ليقوم بنهبها، ولكن المفزرة التي انتصرت في اتويزكت سبقتهم ونصبت لهم كمينا في المخيمات وأطلقت عليهم النار، وكبدتهم خسائر فادحة.

ففر الغزاة إلى الشمال فتعقبتهم الجمالة وانقسموا إلى مفارز صغيرة عديدة ليرغموا المطاردين إلى الانقسام وليشوشوا آثارهم.

إحدى هذه المفارز تم اللحاق بها وهزمت لدى تكبة.

وتم اللحاق بمفرزة أخرى إلى الشمال الشرقي من(الداخلة) على يد المناصرين البيضان الذين ليست لديهم نفس الأسباب التي تحظر

على فرقنا النظامية دخول آدرار صطف، فقتلوا منها أربعة رجال واسترجعوا زهاء الستين من الجمال.

وأخيرا ذهبت غارة مضادة مؤلفة من أولاد عمني مناصرينا من آدرار للبحث عن المخيمات التي تَشكل فيها هذا الفيلق، وعثروا عليها في الساقية الحمراء ونهبوها.

ومن وجهة النظر السياسية فقد اتسمت سنة ١٩١١ في بدايتها بقدوم ٢٠٠ خيمة من يكوت، التحقوا بمخيم اركيبات ولد الخليل، ولكن المقيم الاسباني في (الداخلة) الذي جاء في زيارة إلى السلطات الفرنسية في آدرار، يحاول إقناعهم بالخضوع للإسبان الذين لا يفرضون عليهم ضرائب.

ولكن وصول الرائد *Vanvatermeulen* مصحوبا بجمالة النقيب بنيو إلى تيرس وضع حدا لترددهم وقبلوا شروطنا.

ومن ينايرإلى إبريل كانت جمالتنا تجوب الإقليم الواقع بين انواذيبو وسبخة الجل، وعلى اتصال مستمر بالخاضعين الجدد، ولكن هؤلاء وخاصة السواعد ويكوت لا يزالون غير متعودين على تحمل سلطتنا ومقتضياتنا مهما كانت خفتها، وكان من الصعب عليهم أن يقاوموا جاذبية المراتع الغنية التي تذكر في الشمال في أعقاب فصل ممطر في هذه الناحية.

ويُتحدث أيضا عن عمل حركي يزمع الهيبة القيام به ضد النصارى في موريتانيا، وكذلك ومنذ شهر دجمبر بدأت مخيمات

الركيبات السير إلى الشمال زرافات صغيرة مستغفلة رقابة الجمالة، حيث رحلت ١٠٠ خيمة عند نهاية السنة وكان ذلك بداية هجرة الركيبات.

لقد كان الحدث الأبرز لسنة ١٩١٢ في الحوض هو ضم الفرق المتحركة في موريتانيا وفي إقليم تومبكتو في وسط إقليم صحراوي لم تطأه أقدامنا قط.

إن هذا الجزء من الصحراء؛ منتجعات مشظوف القبيلة المرابطية المهمة، كان فعلا مفصولا عن الأقاليم التي نحتلها بمسافات واسعة لا ماء فيها، وكان يشكل جيبا واسعا على التخوم الشمالية للأراضي التي بحوزتنا، في وسطه توجد مراعي غزيرة تستقطب أصحاب النهب.

إن هؤلاء لم يكونوا متأكدين من الحصول هنالك على غنائم للغزوات التي يقومون بها من الأعداد الكثيرة من الجمال التي ترعى هنالك دون إطلاق نار.- كانت مواشي مشظوف تقدر ب ٣٠٠٠٠ رأسا- ولكنهم كانوا يعلمون فوق ذلك بأنهم بعد القيام بعملهم يمكنهم البقاء ما كان البقاء ضروريا لراحتهم وراحة مطاياهم في هذا البلد الغني نسبيا، في انتظار عمليات نهب أخرى يقومون بها.

فالحوض لم يكن فقط معبرا لكثير من الغزاة القادمين من الشمال، ولكنه كان أيضا ملجأ لعصابات المنشقين في موريتانيا. فعصابة أهل احجور وأولاد غيلان الذين كانت لفرقنا معهم

صراعات لمرات عديدة ذهبوا إلى هنالك بحثا عن الملاذ بعد كل عملية مناوشة.

وهنالك يقيم الأمير المنشق ولد عيده منذ زهاء السنة ضيفا مكرما لدى مشظوف. ضيافة مفروضة، ذلك أن هؤلاء المرابطين المنعزلين بدون دفاع لم يكونوا فقط ملزمين باستقبال المحاربين الذين يدخلون إقليمهم، ولكنهم كانوا غالبا ما يعطون هم أنفسهم للغزاة القادمين عددا من الجمال خشية أن يستولوا بالقوة على أعداد أكثر.

وفي نهاية دجمبر كان ولد عيده في ولاته مع أولاد غيلان زمرة إبراهيم ولد مكيه، وكان قد نهب قافلة جلب: القافلة الكبيرة التي تذهب كل سنة من تومبكتو للبحث عن الملح في تاودني. وقامت عصابة أهل احجور القادمة كذلك من الحوض بالنهب في منطقة أزواد ولم تعد بعد.

إنه من الضروري لضبط أمن أقاليمنا وللمحافظة على هيبتنا أن نضع حدا لهذه الوضعية في أقرب وقت ممكن، وأن نري هؤلاء الناهبين أن الأمن الذي حظوا به حتى الآن مجرد وهم، وأنه من المستعجل كذلك أن نطرد عصابة ولد عيده من أوكارها الواقعة على بعد أيام قليلة من تجكجة وكيفه؛ لأنها أصبحت تشكل تشجيعا وملاذا للمتمردين والمفسدين ويخشى من أن تتفاقم بسرعة.

فاتخذ القرار بالقيام بعملية عسكرية وصدرت الأوامر بها في دجمبر ١٩١١. إنها تشمل عمليتين متزامنتين، من جهة قيام الفرق الموريتانية باستطلاع تيشيت، ومن جهة أخرى قيام فرق تومبكتو باستطلاع ولاتة. ويجب أن تتحد الفرقتان لدى انزى بين تيشيت وولاته، وفرق الساحل؛ مواقع كيفه وانيورو وكومبو يجب أن يقطعوا الطرق القادمة من الحوض لمنع الناهبين الباحثين عن الهروب إلى الجنوب من الدخول هنالك.

فدخلت فرقة تومبكتو إلى ولاتة تحت قيادة العقيد روليي *Roulet* مؤلفة من ٢٠٠ بندقية(١٢٠ من الجمالة و٦٠ من القناصة الراجلين و٢٠ من الفرسان) دون أن تطلق رصاصة، وبعد ما أتمت عملية الاتحاد المقررة مع الفرق الموريتانية غادرت هذه المدينة تاركة في المنطقة الملازم *de Boisboissel* على رأس كتيبة من ١٢٠ من الجمالة.

وكانت مجموعة موريتانيا قد تشكلت في تجكجة تحت قيادة العقيد باتي *Patey* قائد الإقليم، وتتألف من شقين:

رتل خفيف مؤلف من بعض جمالة آدرار(النقيب) بنيو *Beugnot* وكتيبة جمالة تكانت(النقيب) أوبير*Aubert* والملازمان فيفر*Faivre* وأبسيشاري*Psichari*) وجمالة الملازم بركنيو والملازم مركني *Marquenet* وأخيرا مفرزة من المناصرين السود ركوبا على الجمال.

وتم الاحتفاظ باحتياطي في تجكجة مؤلف من سرية نظامية على الأرجل (النقيب فرديي *Verdier* والملازم *Bettembourg* وكتيبة من فرسان الخيل) ومفارز أخرى من جمالة آدرار يراقبون نقاط المياه التي تمكن من التسلل نحو الشمال وخاصة نقاط حفرة وادان وأبيار تلين" ويراقب الملازم شميتْ منطقة تورين.

وتجوب جمالة كيفة ممرات أفله وتراقب مفارز راجلة من موقعي تجكجة وامبود سلسلة جبال تكانت..

فاكتمل تطويق الحوض تقريبا ولم يبق للمنشقين الموجودين هنالك إلا اتجاه واحد حر هو الشمال الغربي ولكن يلزم للوصول إلى لكصيبه أقرب نقطة مائية أن يقطعوا مسافات مذهلة في عمق الصحراء لمدة ١٠ أيام دون ماء.

وانطلق الرتل الخفيف من تجكجة يوم ٩ يناير، وبعد ذلك بيومين عُلم أن ولد عيده وأولاد غيلان غادروا ولاته في اتجاه تيشيت، ولم يكن هؤلاء على علم من مسير الرتل.

فقرر العقيد باتي *Patey* فورا الاستفادة من الظرف المواتي لمباغتة العدو في تيشيت، فكُلفت فرقة الجمالة: الطليعة تحت قيادة النقيب بنيو *Bougnot* وتضم قسمي الملازمين بركنيو *Bourguignon* ومركني *Marquenet*، وفريق من القوم البيضان بهذه المهمة. ومستفيدة من التقدم الذي أحرزته، اتجهت هذه المجموعة بسرعة إلى تيشيت التي وصلتها بعد ما قطعت مسافة

١٣٠ كلم في يوم وليلتين. وفي يوم ١٣ صباحا، في الوقت المحدد الذي شعر فيه المنشقون بالخطر أخلوا القصر.

وبعد معركة قصيرة في النخيل، ثم في الكثبان، تفرق المنشقون وفروا في كل الاتجاهات تاركين بين أيدينا ٨ قتلى وجريحين، أحدهما الأمير ولد عيده نفسه. وكان رئيس العصابة إبراهيم ولد مكي بين القتلى، وغنمنا نحن ١١ بندقية و٢٠ مطية، ولم نفقد إلا جمالا واحدا من البيضان.

ووصل معظم الرتْل من الغد إلى تيشيت بعد ما قاتل فريقا من المنهزمين، وقتل منهم العديد من الرجال، وأرسلت بعثة استطلاعية أخرى نحو الشرق في اتجاه ولاته، لحقت لدى انجى بفرقة أخرى من المنهزمين، واستولت على جزء من مطاياهم، وأخيرا لحق الملازم- قرب غانب- إلى الشرق من تيشيت فريقا ثالثا من الأعداء وفرقهم وقتل منهم رجلين.

تمت المهمة التي كلفت بها فرق موريتاني، ومن جهة أخرى فان الوضعية الغامضة في شمال آدرار وفي مخيمات اركيبات تجعل من الضروري إرسال مجموعة*Bougnot* . وعاد العقيد إلى تجكجة تاركا في الموقع كتيبة جمالة تكانت المكلفة باكتشاف منطقة تيشيت وإتمام عملية الاتحاد مع فرق تومبكتو، فأنجز النقيب ***Aubert*** قائد الفرق يوم ١٣ فبراير عملية التوحيد المقررة مع العقيد *Roulet* ثم زار قصور ولاته والنعمة، ثم رجع إلى تكانت عابرا الحوض في عرضه الواسع.

وفور عودته إلى تجكجة علم العقيد *Patey* بأن عصابة من المنشقين من ٥٠ بندقية تعمل في جنوب تكانت، فانبرى الملازم *Bourguignon* فورا في مطاردتهم، فتفرقت العصابة عند أول اتصال.

وفي إبريل علم الملازم *Schmitt* ـ الذي كانت فرقته تنتجع شمال آدرار، والذي كان ينتهز هذه الوضعية للقيام بعمليات استطلاع كبيرة. إحداها نحو أناجيم وبئر ام اكرين في اتجاه الساقية الحمراء، والأخرى حول سبخة الجل وآدرار سطف ـ بأن غارة قوية من زهاء ٤٠٠ بندقية قادمة من واد نون تتجه نحو موريتانيا، فاتخذ موقعه ليقطع عليها طرق آدرار سطف، بينما كان الملازم *Marquenet* يراقب منطقة تورين، وانقسمت الغارة عندما وجدت الإقليم محتلا فتريثت طائفة منها في وادي الذهب المحرمة على قواتنا النظامية، واتجهت الطائفةالباقية إلى الشرق في اتجاه الحوض وتيشيت التي لم نعد نحلتها.

ولما لم تتمكن من غنائم مثمرة عادت العصابة فور ذلك زرافات صغيرة في طريقها إلى الشمال، باستثناء الثلاثين من أولاد بالسباع استمروا يمارسون عملهم في الإقليم.

وفي تخومنا الجنوبية الشرقية للعصابة وكوركول، وبعد مناوشات بين مناصرينا في بداية العام وبين عصابة صغيرة من ١٠ رجال، كانت فرقنا على موعد في شهر إبريل مع عصابات أهل احجور وأولاد غيلان الذين سبق أن فروا من تيشيت، إذ لحقت جمالة

النقيب *Aubert* بمعظم العصابة وأرغموها على اللواذ في هضاب لعصابة تاركة وراءها مطاياها.

فطاردتهم مفرزتان راجلتان، مفرزة الملازم *Betembourg* في تجكجة ومفرزة الملازم *Maignan* من امبود ودحرهم الملازم *Maignan* مرتين في ممر *Goussez* وقتل منهم ٦ أشخاص وأسر واحدا.

وكانت خسارتنا بدورنا جرح ضابط صف وقتيلين من المحليين.

وما كادت هذه العمليات تنتهى حتى قامت الحاميات الراجلة في تجكجة والمجرية لمباشرة جولة أمنية ضد عصابات اللصوص التي تقطع الطريق في مرتفعات تكانت. وبعد مناوشات عديدة تفرقت هذه العصابات بعد أن تكبدت خمسة قتلى وأربعة أسرى.

وخلال يوليو واغسطس حدثت أربع غارات على آدرار: اثنتان قادمتان من وادي الذهب استعصت على مطاردة الملازمين *Martin* (الذي حل محل الملازم *Schmitt*) و*Psichari* وغارة أخرى إلى الشرق نهبت قافلة في اشريريك، والرابعة استولت على قطيع لأتباعنا في وادان.

وكانت سنة ١٩١٢ خاصة حافلة بالأحداث، وانتهت بثلاث قضايا مهمة في فم أجار إلى الشمال مباشرة من غانب وفي ايمغلان على بعد ٤٠ كلم إلى الشمال الشرقي من أنجي.

في فم أجار غادر النقيب *Cautier* تجكجة على رأس ٩٠ بندقية ولحق بفصيلة من غارة اركيبات وأولاد ادليم، جاءوا للقيام بالنهب في الحوض، وقتل منهم ٣ رجال وأسر ١٥، واستولي على جزء من مطاياهم، و٢٠٠ جمل وكافة عبيدهم. وتمادي يقص أثر مجموعة أخرى من المنشقين صعدت إلى الشمال فلحق بهم ليلا في الجرادية، وقتل منهم رجلا وأسر اثنين، واستعاد ٢٥٠ جملا و١١ عبدا.

وبقايا هذه العصابة وجدت ممرات آدرار محروسة من قبل لكدادرة وأهل احجور الخاضعين، فانطلقوا نحو الجنوب، ثم صعدوا من جهة غرب آدرار ونجحوا في الاستيلاء على بعض الجمال من شمال الترارزة.

وفي ايمغلان لحق النقيب *Aubert* بعصابة أهل احجور المثقلة بغنائمها الكثيرة التي نهبتها في نواحي كيفه، وبعد معركة حامية لاذ العدو بالفرار نحو الشمال تاركا ١٦ قتيلا و٥ أسرى و١٨ بندقية سريعة الطلق، وعبيده وأمتعته و٣٠ مطية، وقتل اثنان من جمالة البيضان وجرح أربعة.

وقد بينت هذه الأحداث أنه من الضروري تنفيذ إجراء اتخذ ميدانيا منذ عملية تيشيت في بداية السنة، وهو احتلال هذه النقطة من خلال إنشاء موقع ثابت يلحق به وحدة جمالة مكلفة بضمان أمن هذه المنطقة من الصحراء، التي يرتادها الناهبون في الغالب.

فتم تنظيم منطقة تيشيت في قطاع واحد بدوي، وحينئذ أكمل النقص الكبير الذي كان قائما لحد الساعة بين موريتانيا واقليم تومبكتو في نظامنا لتغطية التخوم الصحراوية.

فصدر مرسوم بتاريخ ٢٣ إبريل ١٩١٣ برسم الحدود بين موريتانيا والمستعمرة السودانية عند خليج كاراكور رافد النهر السنغالي إلى كنكوصة، ثم عن طريق خط يمر بآبار شيك واعيون العتروس وآراتان، ويعبر هذا الخط الحوض ويمر بين تيشيت وولاته.

❊ ❊ ❊ ❊

مباغتة لبيرات ورتل العقاب نحو الساقية الحمراء (١٩١٣)

ابادة مفرزة *Martin*

معركة واد التاكليات

لقد اتسمت سنة ١٩١٢ من الناحية العسكرية بسلسلة من العمليات الحربية اللامعة والنجاحات المتواصلة، وأما من الناحية السياسية فقد كانت الوضعية أقل إرضاء.

ففي نهاية السنة كانت الأحياء الخاضعة من كبار البداة وخاصة فصيلتي السواعيد (الركيبات) ويكوت (تكنة)، يظهرون نيتهم في الذهاب منشقين. إنهم يشتاقون إلى حريتهم وإمكانية استعادة غاراتهم المربحة، وفضلا عن ذلك فإن خضوعهم ـ ولم يكن حقيقة بمحض الصدفة ـ ذلك كان قد حصل خلال سنة جدباء في النواحي التي يقطنونها عادة في الشمال، ولكنها بالعكس من ذلك كانت في آدرار سنة خصبة.

وفي نهاية سنة ١٩١٢ تغيرت الوضعية تماما فمراتع زمور غنية، وفوق ذلك فالتحرك السياسي في الشمال له انعكاساته في آدرار، حيث وصلت للتو أخبار بدخول الهيبة مراكش وإعلانه نفسه سلطانا على الجنوب المغربي. بعض الأحياء الذين خضعوا مؤخرا بدؤوا يبتعدون رويدا رويدا نحو الشمال، وفجأة ذهبوا منشقين. وفصيلة أولاد موسي التي يتزعمها ولد الخليل الذي أعلن انضمامه لقضيتنا تماما، والذي ظل دائما يتصرف بصدق تام اتجاهنا، تتجاذبها

تيارات التأثير المضادة، وفي النهاية أرهق الشيخ المسن وتفككت الفصيلة.

وخشية أن تعم هذه الحركة أرسل قائد دائرة أطار النقيب *Gerhardt* قائد الجمالة في آدرار للاتصال بالعناصر المشككة.

ونجح هذا الأخير في إرجاعهم إلى الجنوب، ولكنه ما إن غادر حتى أخذوا طريق العودة وذهبوا منشقين، فانبرى النقيب *Gerhardt* على رأس قسم الجمالة في أثرهم ولكنه لم يلحق إلا بعناصر متأخرة في ناحية زمور.

وهذه الأحداث لحسن الحظ لم يكن لها انعكاس على قبائل آدرار، فقط لكرع ولد المعيوف شيخ أولاد آكشار الذي كان في بداية نزاع شخصي مع الإدارة المحلية انتهز فرصة هذه الوضعية وذهب إلى الشمال، وانشقاقه هذا من شأنه أن يظلم الأفق السياسي، ذلك أنه أصبح من الممكن أن ندخل في نزاع مع هذا القائد المشهور والذي لديه تجربة في معرفة رجالنا وإجراءتنا، ومشحون برغبة جامحة في الانتقام.

وأثناء ذلك كانت أصداء خبر مشاكلنا مع المغرب تتردد في آدرار، وكانت المعلومات المغرضة؛ تصل بمهارة ويعلق عليها رسل الهيبة الذين يمارسون ضغطا على الأحياء المترددة.

فقام هؤلاء من أجل رفع الغموض، بإرسال صربة نحو الشمال من أجل التأكد من صحة الوقائع المروية.

وعندما وصلت الصربة إلى الساقية الحمراء وجدت محمد لغظف بن ماء العينين، الذي استطاع أن يجمع جيشا قويا من اركيبات وأولاد ادليم وتكنة، وكان هذا الجيش أولا عليه أن يقوم بعمليات إلى الشرق في أزواد، ولكنه غير أهدافه أخيرا واتجه إلى موريتانيا بقيادة ولد معيوف ومباركة الشيخ حسن.

وبعد توقف في بئر زوك، حيث أرسل مستطلعين للبحث عن المعلومات ، تخفى في الأرض في تيجيريت على بعد بضعة امتار من خطيرة (ازريبة) الملازم *Martin* ومكثت هناك ثلاثة أيام دون أن يشعر أحد.

وكانت مفرزة جمالة الملازم *Martin* تشمل فضلا عن القسم الذي يقوده هذا الضابط فصيلة مهمة من قسم الملازم *Merello* الذي ذهب على رأس مفرزة صغيرة للقاء المقدم *Mouret* مفوض الحكومة العامة الذي ذهب من سان الويس لزيارة آدرار. وكان مع الملازم *Martin* رقباء المدفعية *Bain* و*Paladan* والعريف *Tissier* و٥٨ من القناصة و٥٠ من الحرس البيضان، وكان القطيع يضم ٣٠٠ جملا.

كان الجمالة ينعمون بأمن تام، ولم يكن أحد يتصور أن غارة يمكن أن تأتي لتهاجم جمالتنا، لانه منذ أ كثر من سنتين لم يكن الغزاة يبحثون إلا عن نهب مواشي القبائل الخاضعة، والإجراءات الأمنية البدائية جدا قد أهملت، ولم يعد هناك استطلاع من مسافات بعيدة؛ وخدمة الحراسة خلال الليل كانت غير كافية، ولا يوجد

نظام الوردية في الحراسة، وهناك ارتخاء في الانضباط، والقناصة والحرس غير مسلحين خلال الليل، وليس ذلك فقط بل إن كثيرا منهم ذخيرتهم داخل أوعيتهم المقفلة. وأخيرا فالمعسكر غير مفعل، فالأجانب رجالا ونساء يدخلون فيه ويجولون من غير أنه يتوجس أحد من هويتهم وحضورهم. ولعل الغارة فكرت أولا في الهجوم على القطيع، ولكن الرقابة المتراخية على الحظيرة(الزريبة) أوحت إليه بإمكانية الاستيلاء عليها، مما يسمح له في حالة نجاحه بالاستيلاء على الجمال كافة فضلا عن كثير من البنادق ذات الطلق السريع وكمية معتبرة من الذخيرة. تقرر الهجوم؛ وحصل قبل الفجر بساعتين، يوم ١٠ يناير ١٩١٣ قريبا من بئر لبيرات.

وكانت المباغتة كاملة. قتل أحد الخفر عن كثب بعد ما أطلق رصاصة بالليل، ولكن المهاجم أصبح داخل الخطيرة؛ التراشق والفوضي لا توصف، فوثب الملازم وضابطا الصف الاروبيان نحو موقع الهجوم.

فانجر الملازم المحروج في فخذه على ركبته وأفرغ مسدسه في المهاجمين ولكنه مات فور ذلك. وجرح رقيب المدفعية *Bain* الذي منح قوة هائلة، خارقة وبقي أعزل متغلبا عليه من قبل العديد من البيضان بصعوبة، لإرغامه على أن ينطق الله، فارتمي على أحدهم وعضه بقسوة، فأجهز عليه بضربة من سيف، وقتل رقيب المدفعية *Pladan* أيضا منذ البداية، ونجح ضابط الصف الاوربي الباقي العريف *Texier* وضابط الصف السنغالي *Moriba Camara*

في جمع بعض الرجال وشكلوا نواتين للمقاومة، ولكنهم أحيط بهم وانتهى بهم الأمر إلى أن قتلوا بعد قتال بطولي[1].

الخيوط الأولى التي تطلع من الفجر تكشف عن ميدان مجزرة ونهب. ٧٢ جثة و٤٢ جريحا يغطون الميدان. من جهتنا نحن: ضابط واحد وثلاثة ضباط صف فرنسيون و٤٣ قناصا سنغاليا و١١ حرسا من البيضان قتلي و٧ قناصة و٥ حرس من البيضان جرحي، ومن العدو ١٤ قتلى وزهاء الثلاثين من الجرحي.

واستولي العدو على ١٠٥ بنادق وأكثر من ٢٠,٠٠٠ رصاصة و٥٠٠ من الجمال وكافة الأمتعة.

وباستيلائه على هذه الغنيمة الغنية قرر العدو أن هذا النصر كاف ولم يتأخر عن الهجوم على مفرزة من ٢٣ بندقية كانت تحرس مستودعا للأغذية لدى بئر مجاور للبيرات ، قبل عودة الملازم *Merello* العائد من مرافقة المقدم *Mouret* الذي أصبح على مسافة قليلة.

بعد نهب المعسكر اتجهت الغارة نحو بئر آحميم لتستريح هناك، وبعد ما تم تقسيم الغنائم انقسمت إلى فصيلتين أحدهما صعدت نحو الشمال بالغنائم، والأخرى وهي الأهم والمدعومة بالأسلحة

(1) لقد تعرض هؤلاء الرجال لأطول امتحان يمكن أن تتعرض لـه فرقـة، والنـاس الـذين اقتيدوا إلى ذلك لم يبرهنوا فقط على شـجاعتهم، ولكـن علـى بطولتـهم. إنـه بفـضل هؤلاء الأبطال ترك المهاجمون ١٤ قتيلا في الميدان وثلاثـين جريحـا بعـضهم بـسبب القتال بالحراب. تقرير النقيب Gerhardt.

سريعة الطلق والذخائر تتهيأ للقيام بغارات جديدة، فاستقبلتها أحياء اركيبات الخاضعون بحسن الضيافة والتحق بها منهم أفراد. واعتمادا منها على انتصارها الرائع في لبيرات اتجهت نحو الجنوب بحثا عن قطعان الزوايا(المرابطون) المذعورين.

وانقسمت العصابة هي نفسها فورا، فاستمر فريق منها مؤلف من ٥٠ بندقية في اتجاه الجنوب حيث وصل إلى الترارزة ونهب بعض المخيمات، والباقي أي حوالي ١٥٠ بندقية جانب آدرار من الجنوب ونهب بعض القطعان في طريقه. وبعد ما دخل تكانت صعد نحو الشمال في اتجاه شنقيط وتوقف قريبا من شيك وانتشر بحثا عن نهب جديد.

إحدى مفارزه التقت بجمالة تكانت التي انبرت بحثا عن العصابة، ولكن هذه لما شعرت بمطاردتها قررت السير نحو الشمال.

وغادر النقيب *Verdier* الذي علم بهذه الوقائع شنقيط بمفرزة راجلة ثم التحقت بها شعبة من جمالة الملازم *Marquenet* واتجهت نحو الشرق بسرعة مذهلة من أجل قطع الطريق أمام العصابة الغازية في ممرات اظهر، ولكن العصابة الغازية عرضت أكثر إلى الشرق عابرة وران والابيار.

فتم استدعاء شعبة جمالة الملازم بصورة مستعجلة إلى أطار للمشاركة في رتل انتقامي.

وبقي النقيب بمفرزته الراجلة وحده، وانعطف حتى وصل إلى التوشاتن ولكن بدون نتيجة.

وصل المقدم المفوض العام لموريتانيا إلى أطار في نفس الوقت الذي حدثت فيه مفاجأة لبيرات بالضبط. وهذا النصر الذي حققه المنشقون لا يمكن أن يظل دون عقاب، لأن لذلك انعكاساته الكبيرة على كافة سكان البدو وخاصة أحياء الركيبات الخاضعين مؤخرا، والذين ذهبت منهم فصائل عديدة منشقة.

حتى الآن في كل المعارك مع البيضان كنا دائما الغالبين بواقع ١ إلى ٤ أو ٥ ولا يمكن أن نترك الرأي العام يقبل بأنه يمكن أن نكون مستقبلا مغلوبين بواقع ١ إلى ٢ فقط ـ في بلد تعتبر هيبة السلاح فيه أساس سلطتنا ـ كما حصل في هذه العملية المؤسفة.

وقد شهدت معنويات عدونا ارتفاعا بنسب معتبرة، بينما أصيبت معنويات قومنا في المقابل بالمساس جدا.

تعرض إخلاص القبائل الخاضعة أيضا لامتحان عسير، وأخيرا فإنه أصبح من المستعجل جدا أن نوفر للعصابات في الشمال الفرصة لتفريغ العشرين الف رصاصة التي استولوا عليها مؤخرا في لبيرات حتى لا نراهم قريبا يعودون أكثر أعدادا وأكبر جرأة بفضل انتصارهم وسلاح أشد قوة من ذي قبل.

فقرر المقدم أن يطاردهم، وإذا لم يتمكن من اللحاق بهم، أن يلقن دروسا قاسية للمخيمات التي انطلقوا منها.

وحسب المعلومات التي حصل عليها فإن الغارة على لبيرات كانت قد تشكلت في الساقية الحمراء تحت رعاية لغظف ولد ماء العينين، وكانت بعض المخيمات التي زودت الغارة ببعض المحاربين توجد في منتصف الطريق في إقليم زمور حيث كانت المراعي خصبة خلال تلك السنة.

فتقرر القيام بعملية في ذلك الاتجاه، ولايمكن القيام بها إلا اعتمادا على الفرقة الراكبة، فجمع المقدم *Mouret* كل وحدات الجمالة وأضاف إليهم عددا من مناصري الترارزة وآدرار، ونجح حينئذ في تشكيل قوة من ٤٠٠ بندقية تتألف ممايلي:

٩ ضباط و٨ ضباط صف و١٤٨ قناصا و١١٢ من الحرس الجمالة و١١٦ مساعدا على رأسهم ولد الديد بالنسبة لاهل الترارزة، والامير ولد عيده بالنسبة لاهل آدرار و٩ مترجمين ومرشدين وكلهم مسلحون.

وهي أكبر مفرزة تم تجميعها في موريتانيا منذ رتل آدرار، وكل فرد مزود ب ١٨٠ رصاصة واحتياطي يبلغ ١٤,٠٠٠ رصاصة، ومدفعان رشاشان محمولان في القافلة.

أربعون برميلا صغيرا معبأة باحتياطي قدره ١٦٠٠ لترا من الماء، إضافة إلى مزادتين لكل فرد.

ويشتمل التموين على ٥٠ يوما من الأغذية المحمولة في القافلة، وكإجراء احتياطي هنالك احتياط من ٢٥ يوما من الأغذية سيكون يوم ٢٥ مارس عند كدية الجل.

وبينما كان الرتل الرئيسي المؤلف في غالبيته من النظامين يحدد لنفسه كهدف البحث عن تجمعات المحاربين الأعداء، انطلقت غارة مضادة من مناصري أولاد غيلان إلى الشرق للهجوم على المخيمات المنشقة، وفي يوم ٩ فبراير غادر الرتل تيارت في نصف مرحلة إلى الشمال الغربي من أطار، وانقسم الرتل إلى ثلاث مجموعات جمالة: مجموعة النقيب *Gerhardt* التي تضم قسمي *Merello* و*Marquenet* وسرية الترارزة بقيادة الملازم *Berthomé* وأخيرا مجموعة المناصرين تحت القيادة المباشرة لقائد الرتل. ووصل الرتل إلى كدية الجل دون عائق، ولكن منذ هذه النقطة التي لم تتجاوزها مفارزنا قبل ذلك إلا نادرا، بدأ الاستكشاف يأخذ طابعا هجوميا، وتوجه الرتل إلى زمور حيث وصلها دون مشكلة ما عدى آثار ركب (مجبور) متجه نحو الشمال، وانطلقت مفرزة من المناصرين في مطاردة ذلك الركب ولحقت به وقتلت منه ٥ رجال وغنمت ٥ بنادق سريعة الطلق وزهاء العشرين من الجمال بينها العديد يحمل ميسم وحداتنا الجمالة وبعض الأمتعة التي كانت في حظيرة لبيرات وبعض أغراض القناصة.

في إقليم الزمور، ورغم المراتع الخصبة لم يلاق المقدم *Mouret* لا قطعانا، ولا مخيمات، ولكن آثار كثيرة متجهة نحو

الشمال. هذا الفراغ غير المفهوم في إقليم مناسب لانتجاع الرحل كان دليلا على وضعية غير طبيعية سيكون قائد الرتل على اطلاع بها بعد ذلك بأيام، عند وصوله إلى الساقية الحمراء.

وواصل الرتل طريقه حتي وصل يوم ٢٨ فبراير إلى مسافة قريبة من السمارة زاوية عدونا العنيد القديم ماء العينين، واتخذت إجراءات لمحاصرتها وتطويقها من الغد صباحا قبل طلوع الفجر، وكانت الزاوية القصر المحصن جدا والمحاط بجدار حائطي أكبر أهمية مما كنا نتصور، وكانت خالية تماما، يحرسها تلميذ واحد نجح في الهروب تحت جنح الظلام. فبقي بين أيدينا عبد وامرأتان فقط.

فأخبر العبد قائد الرتل بأن لغظف منظم غارة لبيرات يوجد على بعد ثلاثة أيام إلى الشرق عند أيرن، حيث يعمل على تشكيل غارة جديدة قوية من أكثر من ١٠٠٠ بندقية بهدف اكتساح موريتانيا ونهب ما يعترض طريقها، فاستجابت كافة مخيمات إقليم زمور لنداء المرابط المتعصب وذلك ما يفسر خلاء الإقليم حين مرور الرتل.

فقرر الرتل الهجوم على هذا التجمع فورا، ولكنه من المؤسف أن ينجح تلميذ الصمارة في الانفلات، بيد أنه من غير شك سيبلغ لغظف، وعليه فإنه لم يعد من المنتظر أن تحدث المفاجأة ونتائجها المفرحة.

وفعلا بلغ الأمر الغارة التي كانت تتشكل، وارتحلوا مستبقين إلى الشرق في ملاذ مناطق صخرية مشوشة(جبال لحماده).

هل هي الخشية من مواجهة مفرزة موريتانيا أم شرك ممدود؟

قرر العقيد *Mouret* عدم مطاردتهم في هذه المنطقة المؤاتية للمصائد، حيث العدو يتمتع بتفوق ميداني معتبر. فإذا كان يريد المعركة فسيخرج من وكره إذا عادت المفرزة إلى الوراء، مع أن التموين من الأغذية لا يسمح بتمديد رحلة الاستكشاف إذا تم الارتماء في مغامرة لا يمكن لأحد أن يتوقع لها أمدا.

فاتخذ القرار بالعودة إلى الجنوب إذن. فخرجت الغارة التي كانت ترقب المفرزة فورا من هضابها واشتبكت من الغد في ٩ مارس مع مستطلعين ـ تركا في مؤخرة المفرزة لاطلاعها ـ عند واد التاكليات وعند سماع أصوات البنادق عادت كتيبة الملازم *Berthomé* أدراجها بسرعة كبيرة ووجدت المستطلعين في اشتباك مع مجموعتين مهمتين من المنشقين، إحداهما تتألف من زهاء ٢٥٠ بندقية فحمل على إحدى المجموعتين فتراجعت فسحبت معها الأخرى لدى هروبها تاركين ١٢ قتيلا في الميدان.

فلجأ المنشقون إلى منطقة صخرية تقع على بعد ٧٠٠ م من هنا، ومن ذلك الموقع باتوا يطلقون النار على رجالنا الذين هم متحصنون جزئيا وراء إحدى الهضاب.

فأوقف العقيد الرتل واعتبر أن الموقع الذي يحتله الملازم *Berthomé* مناسب للمبيت، وعرست المفرزة هنالك، وكان الليل قد أرخى سدوله تماما، من جهة العدو يستمر إطلاق النار بتقطع، ومن حين لآخر تسمع نداءات وصراخات البشر(ورغاء) الجمال تجعلك تتصور بأن (العدو) يستقبل تعزيزات.

كنا نسمع تحريضات الشيوخ والابتهالات إلى الله؛ لغطف منعش الجيش لا بد أنه حاضر "لدى انطباع، يقول العقيد في تقريره بأنه في ليل التاسع إلى العاشر كان صوت هذا الفتي هو الذي سمعت يبتهل إلى الله في صراخ عال متناوبا مع صوت عجوز وقت الصلاة".

كل شيء يدل على أن العدو كثير، متشدد، ومسلح بتفوق، وينتظر الفجر بفارغ صبر لخوض المعركة.

من جهتنا تم اتخاذ الإجراءات؛ تهيأ قائد الرتل للهجوم فور ما يسمح الضياء بذلك، على اللازم *Merello* أن يشغل ميمنة العدو بينما يقوم الملازم *Marquenet* بالهجوم عليها من الأمام تحت حماية إطلاق نار عنيف للمدافع الرشاشة.

حان الوقت، وغادر الملازم *Merello* على رأس قسمه ولكنه بسبب خطإ مؤسف في الاتجاه، واجه موقع العدو من الأمام حيث تلقى نارا كثيفة عن كثب في الهضاب، والتحمت الاجساد بالاجساء بحماس، "هناك مشاهد منفصله تبين مدى مرارة القتال، ومدى ثبات الطرفين الحاضرين، فمن أحس منهم بالتحكم جعل منافسه

بدوره هدفا، وإن أيا منهم لن يخلي موقعه، ولن يهرب، ولن ينبطح على الأرض إلا بالوقت الضروري، لإعادة تعبئة سلاحه، هنا كان أحد الأعداء قد نفذت ذخيرته بدون شك فقفز إلى قناص أمامه كان يسوي رصاصة في بندقيته فانتزع سلاحه من يديه، فقفز القناص هو أيضا وانتزع البندقية من منافسه بدوره. وفي مشهد آخر أخرج أحد البيضان سيفه وطعن به أحد قناصتنا في ظهره حيث كان يحاول إطلاق رصاصة في وضعيه الانطباح.

قتل الملازم *Merello* منذ البداية وبدأ قسمه يتراخي، فانتدب النقيب *Gerhardt* الذي قرر أن الوضعية أصبحت سيئة من هذا الجانب، ورحل دون غطاء بجرأة رائعة وسط إطلاق نار كثيف فسقط مجروحا في الرأس جرحا خطيرا.

وكان خطأ الملازم *Merello* في الاتجاه وتوقف الرشاش عن العمل منذ البداية السبب في إخفاق المخطط الهجومي المزمع. فانتدب قسم *Marquenet* لمجابهة العدو تحركه شجاعة قائده التي لا تقهر، ولم يتوقف إلا على بعد ٣٠٠ م من العدو؛ مسافة لاتسمح له بالتحرك ولكنها تمكن من تكبيد العدو خسائر جسيمة.

فبقي الخطان لا يتحركان، ولكن إطلاق النار كثيفا ظل مستمرا من الجهتين ومفزرة *Berthomé* تشكل احتياطيا وكذلك المناصرون، هؤلاء الذين كانوا يشكلون واجهة لا قيمة لها، ومواقفهم لا تسمح بإعطاء ريبة لقائد الرتل.

واستمر القتال ٥ ساعات دون أن تخف كثافته، وعند الساعة العاشرة توقفت بنادق العدو فابتهل العقيد الفرصة لتنفيذ عملية محضرة على الجناح الأيسر للعدو، وكلف بهذه المهمة قسما من كتيبة يقودها رقيب المدفعية *Buis*.

فغادرت هذه المفرزة على الجمال، وشرعت في حركة تطويقية عريضة، فوجدت العدو في رجوع تام فانبرت في إثره وقتلت منه ٥ رجال. فما هذا الذي حصل؟ وإلى أي شيء يعزى هذا التغيير المفاجئ في موقف العدو. هذا التوقيف المفاجئ للمعارك وهذا الهروب المستبق؟ عرفنا ذلك فيما بعد.

إن العدو الذي تزعزع بفعل الخسائر التي تكبدها منذ الصباح ـ والذي أنفق دون حساب القسم الأكبر من ذخيرته ـ علم للتو بأن الغارة المضادة لأولاد غيلان والمنطلقة من أطار كانت قد أصابت مخيماته ونهبتها. وكان طرفه الأيسر في ذلك الوقت مهددا، فترك فورا المعارك وانطلق لنجدة مخيماته. وترك ٩٨ جثة في الميدان، ومن جهتنا نحن فكان علينا أن نأسى على ٢٣ من رجالنا من بينهم الملازم *Merello* وارتفع عدد جرحانا إلى ٤٠ من بينهم النقيب *Gerhardt* الذي مات خلال العودة.

ولم يكن هناك تفكير في ملاحقة العدو، فالمؤن التي كانت لدينا لا تكفي لذلك ومشكلة الماء الذي بدأ ينفذ مطروحة أيضا.

وفي نفس اليوم عند الساعة الثالثة عاد الرتل في اتجاه الجنوب، ووصل إلى أطار دون مشكلة جديدة يوم ٢٨ مارس بعد ٥٠ يوما من اليوم الذي غادره فيه؟ وغادرت كتيبة من الغد في مهمة جديدة نحو الغرب.

إن هذه الجولة في منطقة صحراوية من ١٨٠٠ كلم بعدد كبير والمعارك التي تعتبر إحداها من بين أشد المعارك المسجلة في إفريقيا الغربية الفرنسية التي خيضت من بعد ٦٠٠ متر ضد عدو متشدد يقدر ب ٨٠٠ إلى ١٠٠٠ رجل مسلح بالبنادق سريعة الطلق، ومزود بوفرة من الذخيرة، تبين ما يمكن أن ننتظره من الفرق المحلية إذا كانت تحت قيادة بسيطة وحركية.

وكان لهذه العملية نتيجتان مهمتان إحداهما معنوية، فقد علم المنشقون في الشمال أنهم من الآن فصاعدا لم يعودوا في مأمن من هجوماتنا، وأننا عند الاقتضاء لن نتردد في مطاردتهم حتى نصل إلى أوكارهم، والثانية مادية؛ فالغارة الرهيبة التي كانت تتهيأ ضد محميتنا قد تم تفكيكها وفوق ذلك فقد تم إنفاق معظم الذخيرة التي كانت بحوزتهم[1].

إن الخسائر التي منيت بها جمالة آدرار في لبيرات في الرجال والجمال جعلت من الضروري إعادة تنظيم وحدتنا الراكبة في الخط الأمامي، فقد تم توحيدهم في تجمع واحد تحت قيادة الملازم

(1) لقد تم تقدير عدد الرصاصات التي حرقها المنشقون في معارك واد التاكليات(لحمادة)

Marquenet، هذه الوحدة التي تنتجع على مسافات قريبة من أطار، والتي تكلف بحماية نفسها، يجب أن توجه جهودها لتكوين جمالة رماة جدد واكتساب مطايا جديدة.

و رقابة التخوم تسند إلى استطلاعات خفيفة.

بينما الأمر كذلك إذ تدور شائعات منبهة فورا في آدرار بأن جيشا هائلا يتهيأ في الساقية الحمراء وأنه يستهدف موريتانيا.

فمعظم المخيمات تنطوي في سهل يغرف إلى الجنوب الغربي من أطار لتكون تحت حماية الجمالة.

في شهر إبريل ظهرت عصابة من زهاء الستين من اركيبات في شمال الترارزة، وفورا أشير إليها وطوردت من قبل جمالة الترارزة الذين بددوا شملها وقتلوا منها ٥ رجال.

وبعد ذلك بقليل تدفقت غوغاء حقيقية من المنشقين تقدر بألف رجل على آدرار.

هذه العصابة التي كانت لحسن حظنا دون انضباط ولا تملك وجهة موحدة ولا حماسا، اكتسحت مخيمات اركيبات الخاضعين وأرغمتهم طوعا وكرها على طي الأمتعة والتمرد.

وكان الشيخ المسن ولد الخليل نفسه أرغم على اتباع هذه الحركة، ولكن أعلمنا بأنه يذهب غصبا عنه وسيبقي بالرغم من كل شيء مؤمنا بقضيتنا وبأنه سيعود في أول فرصة مناسبة.

وعلمنا أيضا أن هدف هذه الغارة هو إخلاء موريتانيا من الجمال من أجل منع جمالتنا من المطايا، وبالتالي حرماننا من أي وسيلة هجومية.

إن جولة المقدم *Mouret* في إقليم الساقية الحمراء جعلت قبائل الشمال يفكرون ويقررون إتلاف مراكبنا من أجل تفادي أي هجوم جديد في أقاليمهم يرونه قريبا.

للقيام بهذا الأمر لايوجد إلا وسيلتان: إعادة الركيبات الخاضعين إلى الشمال، لانهم أكبر المزودين لنا بالمطايا، ونهب ما تبقي بعد ذلك من الجمال في موريتانيا.

الجزء الأول من هذا البرنامج تم بنجاح تام وليس الأمر كذلك بالنسبة للجزء الثاني، فهذه العصابة الهائلة غير محددة الوجهة، وذات التسلح المحدود بعد ما حصل من إنفاق مفرط في الذخيرة في واد التاكليات(لحمادة)، انقسمت سريعا كما هو ديدنها، فاتجهت فصيلة منها نحو يغرف في محاولة الاستيلاء على مخيمات آدرار، فاشتبكت مع الملازم *Marquenet* وقتل منها ١١ رجلا وبدد جمعهم.

ووصلت فصيلة أخرى إلى الترارزة وطاردها رجال الأمير وقتلوا منها ٨ رجال وأسروا ستة.

واتجه معظم العصابة إلى لبراكنة ووصل إلى علمها نبأ هذين الاخفاقين فانحطت معنوياتها، وكان علمها بخروج مفرزتين

إحداهما من بوتلميت والأخرى من ألاك سببا كافيا لهروبها نحو الشمال.

فحاول النقيب *Modat* الذي أخذ مؤخرا قيادة الجمالة أن يقطع عليها طريق العودة على طول كثبان أمطليش، فوصل متأخرا وكان الغزاة قد سبقوه وهربوا ولم يستطع اللحاق إلا بمجموعة من المتأخرين فقتل منهم ١٢ رجلا.

واشتبك أولاد بالسباع الخاضعون إلى الغرب قرب المحيط مع فصيلة كانت تصعد سريعا نحو الشمال وقتلوا منها ١٧ رجلا. وبذلك تصل خسائر هذه العصابة إلى ٥٥ قتيلا.

وخلال الصيف ساد الهدوء موريتانيا ما عدى عصابة من زهاء الخمسين من الغزاة أشير إليها لدى أعكيلت النعجه جنوب شنقيط في شهر أغسطس فباغتها أهل احجور الخاضعون وفرقوها.

خلال فترة الهدوء هذه كانت وحدات الجمالة تعيد بناء نفسها شيئا فشيئا وتكمل عناصرها وقطعانها. إنها ستتعرض قريبا لامتحان جديد وعسير يلغى جزئيا نتائج مجهوداتها.

وفي الصباح الباكر من يوم ١٨ سبتمبر في حين كانت قطعان الجمالة مجتمعة قرب بوتليس في حفرة وادان، إذ جاءت غارة من ٢٥٠ بندقية بقيادة مطارد قديم من لكدادره ـ كان ذات مرة في خدمتنا ـ ووصلت إلى منطقة الرعي البعيدة زهاء ٣ كلم من

الزريبة(الحظيرة) وهجمت على قسم من حراسة المراتع مؤلف من ٢٨ قناصا يقودهم رقيب سنغالي.

فقتل ٢٧ سنغاليا من أصل ٢٨ ميدانيا بينما هرب الحرس والرعاة الموريتانيون دون أي خسارة، وساقت فصيلة صغيرة من الغزاة معظم الجمال في اتجاه الشمال.

وقد كانت العملية من السرعة بحيث أن أي تدخل من الحظيرة لم يكن ممكنا حتى ولو كانت قد تم إشعارها.

وفي نفس الوقت مرت غارات كبيرة بعرض آدرار متجهة نحو الحوض واصطدمت إحدى هذه الغارات باستطلاع للنقيب *Gilles* الذي يصل إلى تيشيت في مهمة لإنشاء موقع ثابت هنالك ، فتراجعت نحو الشرق حيث لا يمكن مطاردتها. بيد أن النقيب *Gilles* لا يملك إلا مفرزة راجلة وبعض المرشدين، ولما علم النقيب *Mangeot* قائد جمالة ولاته بخط سير هؤلاء نصب لهم كمينا وباغتهم ليلة ١٤ أكتوبر لدى اوتفن وانتزع منهم زهاء ٦٠٠ جمل.

وأشير إلى وجود عصابات أخرى في نقاط مختلفة من الحوض وحتى في نواحي كيفه، ولما ذاعت أخبار عملية اوتفن تفتت هذه العصابات حسب عادتها وصعدت نحو الشمال زرافات صغيرة واشتبكت إحدى هذه الفصائل مع أهل احجور في رهت *Rhat* عند الغرانية وفرقوا جمعها بعدما كبدوها خسائر فادحة.

وأثناء ذلك ترددت أصداء من جديد في آدرارعن تكوين غارة مهمة في منطقة زمور والساقية الحمراء، مما ينم عن اضطرابات سيشهدها فصل الشتاء القادم.

زار المقدم *Mouret* قائد الإقليم آدرار لاتخاذ التدابير اللازمة، والإجراءات الحيوية المتخذة من قبله لحماية التخوم بواسطة وحداتنا الجمالة التي هي في طريقها إلى إعادة التكوين، والتفاهم مع القبائل المحاربة في آدرار واترارزة، يبدوا أن ذالك اذهل خصومنا، والغارات التي تتردد اصداؤها أصبحت تنتظر، ولكن بدون جدوى، وحدث أم

ولد الخليل المنشق غصبا عنه في بداية سنة ١٩١٣ وصل إلى أطار في مايو ١٩١٤ مع جماعة أولاد موسي وأعلن خضوعه من جديد.

وأمير آدرار القديم الذي تم أسره سنة ١٩١١ في تيشيت والمنضم بإخلاص إلى قضيتنا لعب دورا بناء على طلبه في عمليه الأمن التي قام بها المقدم *Mouret* نحو الصمارة، ولم يزل خلال المسير وفي إطلاق النار يقدم الدعم بمسارعة للقائد العسكري الذي كافأه استجابة لرغبة سكان آدرار بأن عينه من جديد أميرا لمدة ستة أشهر تجريبية، بعدها سيكون هذا التعيين نهائيا إذا برهن ولد عيده على أحقيته.

وفي إبريل ١٩١٣ تم إحداث تغيير في حدود بعض الدوائر الإدارية والحدود بين موريتانيا وأعالي السنغال والنيجر، تم تحديدها أكثر إلى الشرق وأنشئ رسميا قطاع جديد لبادية الحوض، وتقرر إنشاء حصن صغير عاجلا في تيشيت التي ستصبح لاحقا مركز هذا القطاع.

❋ ❋ ❋ ❋

٣- الهدوء في سنة ١٩١٤ إلى سنة ١٩٢٣ والربط بين موريتانيا والجزائر

إخلاص السكان خلال الحرب

ربط لوزان بين أطار والمزرب

في بداية سنة ١٩١٤ ترددت الأصداء بأننا نزمع القيام بعملية جديدة في الساقية الحمراء، وصعدت المخيمات نحو الشمال لتكون في مأمن من متناولنا، ولكن العصابات المسلحة سرعان ما تأكدت من نياتنا فنزلت إلى الجنوب.

إحداها توغلت حتى بلغت الترارزة مؤلفة من ٤٠ رجلا من اركيبات وأولاد ادليم فلحق بها وهاجمها المناصرون وقتلوا منها ١٥ رجلا وانتزعوا منها ٢٠ جملا، والناجون فروا إلى الشمال ونهبوا في طريقهم ١٥٠ جملا لأهل بارك الله فطاردتهم جمالة آدرار وفرقت جمعهم في كل اتجاه وتخلوا عن معظم غنائمهم.

وهناك عصابة تتألف من ٨٠ من الركيبات وصلت في شهر مايو إلى منطقة النداما على بعد ١٥٠ كلم إلى الشرق من تيشيت، فلحقت بها جمالتنا عند شبي بعد ٢٨ ساعة من المطاردة المتواصلة، وقتلوا منها ٨ رجال وأسروا ستة واستولوا على ٢٥ مطية و٢٠ مدفعا وعشرون منهم ضلوا الطريق وماتوا في الرمال عطشا. واتجه الباقي منهم إلى غانب حيث نهبوا قافلة حرة كانت

متجهة نحو تيشيت، ثم ذهبوا نحو الشمال ليدخلوا معارك مع جمالتنا فيفقدوا فيها ٤ رجال وجزءا من غنائمهم.

وفي نهاية يونيو نجح الغزاة كذلك في نهب بعض الجمال من تكانت، فذهبوا في كل اتجاه نحو الشمال وانقسموا إلى مجموعتين، ولكنهم عندما عبروا امطليش لحق بهم جمالة آدرار، وفقدت إحدى المجموعتين ٦ رجال وستة مدافع و٥٠ جملا، وفقدت الأخرى ١٠ رجال قتلي وكافة غنائمها أي ما مجموعه ٢٠٠ جملا تم الاستيلاء عليها.

إن هذه النجاحات اللامعة تبين يقظة جمالتنا وحيويتها، وكذلك قيمة التنظيم الدفاعي المطبق.

وفي شهر أغسطس ذاع خبر إعلان الحرب مع ألمانيا بسرعة في موريتانيا حيث كان الإسبان في الداخلة ومبعوثوا الجنوب المغربي يقومون بتلك الدعاية.

هذا الخبر لم يسبب أي اضطراب خطير، بل بالعكس كانت فترة الحرب الكبرى أهدأ الفترات التي عرفتها موريتانيا، بالرغم من جهود الألمان لتثوير سكان الجنوب المغربي والصحراء ضد سلطتنا، وبالرغم من المعلومات الدعائية من قبل جيراننا في وادي الذهب.

ولم يتزعزع إخلاص السكان في لحظة من اللحظات بسبب هذه الأحداث، مع أن ضرورة خفض أعداد الجنود وتبديل الكوادر،

كان له انعكاس ملحوظ على قيمة فرقنا المحتلة وخاصة فرق كوادر الجمالة والضباط وأصحاب الرتب المتخصصين في قيادة وضبط هذه التشكيلات الذين استبدلوا بسرعة بعناصر مبتدئة في بلاد صحراوية، عليهم أن يتعلموا كل شيء عن وظائفهم الجديدة.

وكإجراء احتياطي عند بداية العدوان(الحرب)، وبناء على طلب من السلطات الفرنسية بعث كبراء الشيوخ والزوايا المؤثرون برسائل الولاء والاخلاص، فسارع الشيخ سيديا ـ كما كان دائما ـ إلى دعم قضيتنا، وبعث رسائل عديدة واشعارا في كافة أرجاء الترارزة وحتى آدرار يحث فيها على الهدوء ويذكر فيها أيادي الفرنسيين على البيضان، من استتباب الأمن وحفر الآبار المزمنة[١].

وفي سنة ١٩١٥ تمت مطاردة ٤ أركاب (مجبور) وملاحقتها من قبل جمالة آدرار التي فرقتهم بعدما كبدتهم خسائر فادحة واستعادت معظم غنائمهم.

وفي بداية ١٩١٦ استطاع ركب صغير مؤلف من ٨ من اركيبات أن يستولي على ٥٠ جملا في غرب آدرار، فتمت مطاردته وملاحقته في آدرار سطف حيث فقد ٥ رجال و٥ بنادق وكافة غنيمته.

---

(1) آبار مزمنة من الإسمنت المسلح أكثر صلابة من الآبار التقليدية المبنية ـ في الغالب ـ من الأغصان والحشيش.

وفي نفس الفترة قام الجمالون والمناصرون بمطاردة عصابات صغيرة استطاعت أن تنساب من فتحات عيون الرقابة، وصعدت نحو الشمال بعد ما نهبت في تكانت والحوض. فيما بين دجمبر ومارس تمكنا من استرجاع ٣٢٦ جملا و١٣ عبدا.

ومع ذلك نجح الغزاة في الاستيلاء على ٨٠ جملا وعلى قافلة تبحث عن الملح في سبخة الجل، ولكن غارات ثلاث كانت في الغرب تم دحرها من قبل الجمالة، وفقد المهاجمون معدات مهمة و٢٩ قتيلا و٢٣ خروفا و٤٥٠ جملا كانت قد نهبت من المخيمات الخاضعة.

وفي نوفمبر نزلت غارة من ٢٦٠ بندقية من لكصيبه على الحوض وأزواد فطاردتها لدى العودة كتيبة الجمالة في تيشيت، فغادرت تاركة خلفها ٤٠٠ جملا و١١ عبدا وفصيلة أخرى من نفس الغارة اتجهت أكثر نحو الغرب فمرت من منطقة تتحرك فيها جمالة آدرار، فلحق بهم العريف عبد الجليل فقتل منهم ٨ رجال وغنم ٧ بنادق و٣٠ جملا وعبدين، وهاتان العمليتان لم نصب فيها بأي خسارة.

وظهر من هذا الحين أن الغزاة أصبحوا شيئا فشيئا مزودين بالأسلحة العصرية، والذخيرة الكثيرة، فالاحتلال الذي حصل أخيرا من الإسبان لموقع الطرفاية ليس بمنأى من هذه الوضعية، ويجعلنا نتصور نموا في تجارة تهريب السلاح الإسباني الألماني.

ومهما يكن من أمر فإن سنة ١٩١٧ خاصة كانت سنة هادئة، وتم استغلال هذا الهدوء في اتباع سياسة التموين للبدو الرحل الكبار بطريقة مكثفة، وبعث الركيبات وأولاد ادليم وفدا إلى آدرار، وفي نهاية السنة نزلت بعثة ممثلي اركيبات إلى اندر برئاسة ولد الخليل تبحث شروط السلم.

إنه من غير المعقول تقييد الرحلات الانتجاعية لهؤلاء المنمين الكبار للإبل الذين هم يحتاجون لمجالات واسعة لقطعانهم،في تلك الأراضي "*No Man's Iand*" الواقعة إلى الشمال من آدرار والتي ظلت ولو جزئيا خارج دائرة نشاطنا. وقد تم التفاهم بين الأطراف على أن يبقي الركيبات الممثلين من قبل ولد الخليل بمثابة أجانب أصدقاء ويتعهدون بأن لا يقوموا مستقبلا بنهب مواطنينا، ويسمح لهم بالمجيئ إلى آدرار للتجارة وانتجاع الكلأ لرعي مواشيهم، ويدفعون في هذه الحالة الأخيرة رسم الانتجاع، ويلتزمون فوق ذلك بأن يزودونا كل سنة بقطيع صغير من جمال الركوب، وأخيرا يتم حل بعض المشاكل المتعلقة بالمصالح مع سكان آدرار، وخاصة الأمير حسب عادات البيضان.

بينما كانت هذه المفاوضات جارية أغار غزاة من اركيبات ونهبوا في الحوض وآدرار، وصعدوا في اتجاه إكيدي، واشتبكوا في مرورهم مع كتيبة تيشيت ومستطلعين من جمالة آدرار، فقتلوا منهم ٦ رجال واستعادوا بعض غنائمهم.

وفي سنة ١٩١٨ ازدادات هجومات الغزاة، فمنذ فبراير قام ركب من ٢٠ بندقية بعمليات فيما بين آدرار وتكانت، ولحقت به الجمالة وقتلت قائده واستولت على بعض مطاياه و٢٣ جملا من الغنائم.

وخلال النصف الثاني من السنة جاء ثلاثة أركاب(مجبور) ونهبوا من الحوض وأزواد، وصعدوا إلى الشمال عبر تخوم تكانت وآدرار، وتم القضاء على اثنين منها ونجح الثالث في الإفلات ولجأ إلى وادي الذهب.

ومع ذلك منذ شهر أكتوبر حصل تحول في موقف الإسبان الذين ظلوا إلى ذلك الحين يتنبأون للسكان المحليين بالنصرالمحقق للألمان، فالغت حكومة الطرفاية المخصصات الشهرية التي كانت تدفعها منذ مدة لمحمد لغظف أحد أولاد ماء العينين الذي كانت له معهم علاقات مألوفة.

واتسمت سنة ١٩١٩ ببعض الاضطرابات في قبائل بدو الشمال، ووصلت دعايتها إلى آدرار مع ذيوع أخبار إخلائنا لتافلالت، إذ كان ينتظر بعد غلبتنا أن نقوم بجهد جديد في الجنوب المغربي لا أن نخليه.

وقد بينت الانعكاسات التي أنتجتها أحداث المغرب لدى الصحراويين أهمية القيام بربط بين طرفي الصحراء، وخاصة الربط المباشر بين أطار وأكادير بواسطة *TSF*.

وحدث تحول جديد في موقف سلطات الإسبان في وادي الذهب، فأعلنوا أن الحرب بعد إكمال الحسابات قد انتهت بالتعادل وأعادوا دفع المخصصات الشهرية للغظف.

في نهاية السنة قام الملازم *Bernard* برحلة استكشافية كبيرة على رأس كتيبة من جمالته في منطقة مجهولة، ووصل إلى بئر ازريكات على بعد ٤٠٠ كلم إلى الشمال الشرقي من وادان بعد عبور ما يقارب من ١٥٠ كلم في الكثبان التي لا ماء فيها.

وفي يناير ١٩٢٠ دخل ركبان(مجبور) إلى آدرار فلوحق أحدهما وفقد أحد رجاله وبعض مطاياه وسائر غنائمه.

وأقام الإسبان موقعا جديدا في *Faux cap* قرب انواذيبو لحماية مصائدهم.

وساد هدوء نسبي في جنوب المغرب، وكان حصاد الشعير جيدا في منطقة شرق بالجدور، ووصلت قافلة من اركيبات محملة ب ٣٠ طنا من الجنوب إلى أطار، وتوقفت قوافل أخرى من غير الخاضعين عند منطقة الجل، وكانت هذه العلاقات التجارية فيما يبدو نذيرخير فيما يخص تقرب المنشقين.

وهنالك حدث مهم طبع أواخر سنة ١٩٢٠، فقد انطلقت يوم ٥ دجمبر مفرزة يقودها الرائد *Lauzanne* على رأس كتيبة من جمالة

آدرار[1]؛ انطلقت من الغلاوية نقطة الماء الواقعة على الحدود الشرقية لحفرة وادان، ونفذت عملية الربط المزمع بلمزرب مع جمالة جزائريين بقيادة النقيب *Augieras*[2] وعادت إلى أطار يوم ١٠ يناير ١٩٢١ بعد ما زارت الحنك وايكيدي الزوالي والكرات والمنحدرات الشمالية لآمقطير، وقطعت ما يقارب ١٧٠٠ كلم في منطقة لم تكتشف بعد.

فكان ذلك أول تنفيذ لعملية الربط بين موريتانيا والجزائر عبر الصحراء الغربية. والأقاليم المعبورة لم يزرها قط إلا صيادو النمادي، يطاردون النعام والظباء والذين يقهرونها بالسرعة، وهي جزء من الأراضي التي يجوبها الركيبات ومنطقة عبور معهودة للغزاة، بيد أنها إذا كانت مراتعها ليست متوفرة في كل مكان فإن نقاط الماء الكثيرة فيها تمنح تسهيلات خاصة لعصابات الغزو والقادمة من وادي الذهب وكلتت الزمور والمتجهة نحو الحوض وأزواد وتاودني أو إلى ما وراء تومبكتو آدرار ايفراس.

والنقطتان الرئيسيتان لتجمع هؤلاء الغزاة هي زمور وعيون عبد المالك.

---

(1) الملازم Thione والمساعد أول Cabanis والرقباء Badau وPiersou و٥٦ قناصا و٢٥ من الحرس الجمالة و٣٠ من المسلعدين.

[2] فرقة اتوات والصوارة.

فمن زموز تنطلق العصابات المتجهة نحو الجنوب إلى سبخة الجل عن طريق أناجيم، وغرب آدرار عن طريق تشلة وظهر آدرار، وتكانت عن طريق الغلاوية واعكيلت النمادي.

ومن عيون عبد المالك ينطلق الغزاة نحو الشرق، وهي الغزوات طويلة المدى التي تتجه نحو الحوض عن طريق تاكولالت، واكركتان، ونحو آزواد وآدرار وتغزو عن طريق لكصيب أو لمزرب وتامسكوت وأبيار الشيالي.

ورحلة الرائد *Lauzanne* الاستكشافية التي زار خلالها بعض نقاط الماء التي تعتبر معالم في خط سير الغزاة في ذهابهم: لمزرب وفي عودتهم: عيون عبد المالك واوشيش؛ كان من نتائجها المهمة أن يعلم الغزاة أنهم لم يعودوا في هذه المناطق في مأمن من هجومات جمالتنا، وذلك ما من شأنه أن يدفع بالعديد من الفصائل المنشقة إلى إعلان خضوعها.

خلال هذه الرحلة الاستكشافية اصطدم ركب(مجبور) من ٥ رجال من اركيبات بقوم من المؤخرة، فهرب الركب وترك جملين وامتعته بأسرها. وفي العودة فاجأ قوم من الطليعة مجموعة أخرى واستولوا على قطيعين من ٢٤ أو ٢٦ جملا كانت قد نبهت قبل ذلك بقليل من مشظوف وشرفاء الحوض.

وانبرت مفرزة من ٦ من الحرس الجمالة في أثر قطيع ثالث، ولم يعثر عليها قط. وقد علمنا بعد ذلك أن الدليل قد خانهم ومر بهم على العدو فقتلهم اركيبات.

وأخيرا، ومن الناحية الجغرافية، فقد وضع الرائد *Lauzanne* خارطة للإقليم الذي عبره، واعترف بأن هذه الأقاليم سهلة المعبر نسبيا، وحتى الكثبان الكثيفة لأمقطير التي كانت تعتبر في آدرار صعبة العبور جدا؛ أسطورة ربما يكون اركيبات أشاعوها وحاكوها بدقة من أجل تفادي حصول الجوار من أحد، وحصول رقابة مزعجة.

مناطق كارت وإيكيدي والحنك، كانت مأهولة قدما من قبل سكان متقرين، كما يشهد بذلك بقايا المنازل من الحجارة الصلبة وأنقاض الخزف التي نجدها في أماكن كثيرة.

وحسب اركيبات، فإن هؤلاء القرويين هم : كنته الذين طردهم أولاد ادليم من هذه الأقاليم قبل قرن من الآن.

لقد كانت سنة ١٩٢١ هادئة نسبيا، فقد أعلن الشيخ الطالب اخيار بن ماء العينين خضوعه للسلطات في إفريقيا الغربية الفرنسية، وذهب إلى اندر ثم إلى دكار مصحوبا بشيخ اركيبات ولد الخليل، حيث تم تقديمه للحاكم العام. وعند عودته إلى موريتانيا عقد زواجا ـ خلال مروره ببوتلميت ـ بإحدى بنات الشيخ سيديا، فكانت هذه الصلة مع هذا المرابط الكبير ـ الذي جعل نفوذه علنا في خدمتنا ـ

ضمانا لإخلاص أخي الهيبه وامربيه ربه، ويدل في أعين السكان الأصليين على تحول أهل ماء العينين إلينا.

وفي يونيو ذاعت الأخبار في آدرار عن تكون غزوة كبيرة في الساقية الحمراء، مؤلفة من اركيبات وتكنة، مستهدفة إما موريتانيا، وإما قوافل تاودني. وبعد ذلك بثلاثة أشهر حاولت هذه العصابات ـ معززة بكنتة ولبرابيش ـ القيام بعملياتهم المعهودة في الحوض وأزواد، حيث ألحق بهم جمالتنا ومناصرونا أضرارا.

وفي بداية سنة ١٩٢٢ كان الولي أخو الهيبه الذي ورث منه البركة، والذي يمثل بمقتضي ذلك لدى أهل ماء العينين جهة التفوق الديني، كان يبحث عن التقرب منا على إثر خلاف مع امربيه ربه، المتهم بتسميم أخيهم الشيخ النعمة. وغادر إقليم كردوس ليستقر في الساقية الحمراء.

وفي يناير استولي جيش من١٠ رجال بقيادة أحد منشقي اركيبات على بعض جمال مواطنينا على بعد زهاء ١٠٠ كلم شمال تجكجة.

وفي سنة ١٩٢٣ كان للصلح الذي وقع بين ولد الديد وابن عمه احمد سالم، والذي أعاد الوحدة لقبيلة الترارزة، صدى واسعا في بلاد البيضان.

وكان مرور وكلاء الخطوط الجوية *Latécoere* في يناير بالطرفاية والداخلة، والمكلفين بإنشاء مستودعات للبنزين والزيوت في هذه المواقع من أجل تزويد الجسر الجوي الدار البيضاء- دكار، الذي

يزمع القيام به في مايو المقبل، صدمة كبيرة لدى اركيبات وأولاد ادليم وتكنة. وترددت الأنباء أن الإسبان سيتخلون عن وادي الذهب لصالح فرنسا، فخشيت القبائل على استقلالها وبعضها فكر في القيام بأعمال معادية.

فبعث وكلاء سياسيون في المجتمعات الرئيسية، ونجحوا لحسن الحظ في أن يبينوا للناس خطأهم ويعيدوا الهدوء إلى الأرض.

وأثناء ذلك لوحظ في الساقية الحمراء انتشار بيع السلاح سريع الطلق والذخائر القادمة من المغرب، بيد أنه من الطبيعي أن يكون تقدم السلم في المغرب من شأنه أن يدفق إلى الصحراء سلاح القبائل التي تريد أن تتخلص منه قبل إعلان خضوعها.

وفي يناير نهب ثلاثون جملا في آدافر شمال شرق تكانت من قبل لبرابيش وكنتة، وكانت تلك أول غارة من منشقي تومبكتو على موريتانيا. فانبرت مفرزة من كتيبة جمالة تيشيت في مطاردتهم واضطرت إلى التخلي عن ذلك بعد ما قطعت مسافة ٢٠٠ كلم، بيد أن رياحا عاتية محت آثارهم.

في مايو استولي جيش من ١٠ بنادق على قافلة كانت ذاهبة من الجل نحو شنقيط، ونهب منها زهاء المائة من الجمال، وكانت هذه العصابة تحت امرة محمد تقي الله ولد اعل الشيخ، الملقب وجاهه، حفيد الشيخ محمد فاضل، من أهل الطالب مختار، من بلاد السودان، وجاهة ـ الذي سنجده خلال سنتين على رأس أهم

الغارات التي تحصل في موريتانيا، والذي أعطى خلالها مثالا من الجسارة منقطع النظير- كان قبل ذلك تاجرا في آدرار، وذهب منشقا في إثر تصفية حسابات صعبة مع دائنيه.

في أغسطس استطاع (وجاهه) أن يجمع زهاء العشرين من المنشقين والمتمردين، والذين انضم إليهم مغامرون من اركيبات. ونجح في عملية أخرى قريبا من اجريف، حيث استولي على ٢٠٠ جمل، وتمت مطاردته، وفقد أحد رجاله وجرح آخر. وترك جزءا من غنيمته.

* * * *

معركة اشريريك ٢٨ نوفمبر ١٩٢٣

في أكتوبر حصل قائد دائرة آدرار على المعلومات التالية :

هناك غارة تتألف في الساقية الحمراء قوامها ١٥٠ بندقية على رأسها أحد اركيبات السواعد: احمد ولد حمادي، متجهة إلى الحوض أو آزواد.

وهناك غارة أخرى تتشكل في الساقية الحمراء الواطئة تحت قيادة منشق من آدرار، قائد العصابة: وجاهه. وحسب بعض المعلومات يحاول وجاهه تجميع ٢٥٠ بندقية، وبعد ذلك سيتجه إلى موريتانيا في محاولة لمباغتة إحدى كتائبنا الجمالة خلال إحدى الليالي المظلمة.

كانت الأنباء صحيحة، ولكن وجاهه لم يستطع أن يجمع في الساقية الحمراء إلا ١٥٠ بندقية، ووصل إلى (عيون) عبد المالك، وتأهب للتوجه نحو الجنوب. وبعد ما حصل خلاف بين رؤساء العصابة، انقسم الجيش إلى قسمين ولم يبق مع وجاهه إلا زهاء ٥٠ رجلا. ولكن ذلك لم يثن عزمه عن إكمال مشروعه، ووصل إلى مشارف كتيبة الجمالة، ولكنه لشعوره بأنه قد كشف سره عدل عن الهجوم وأخذ طريق العودة نحو الشمال.

وفي يوم ٢٦ نوفمبر، عثر قسم المراقبة للكتيبة الثانية لجمالة آدرار ـ التي توجد زريبتها قرب انتيد ـ غير بعيد من هذا الموقع على آثار ركب(مجبور) من ٥٠ بندقية تقريبا. وفي يوم ٢٧ انطلق

الملازم *Bedrines* على رأس مفرزة من ٤٦ من الجمالة في إثر الركب متقصيا أثرهم..

وفي يوم ٢٨ في الصباح الباكر اشتبكت مجموعة المرشدين المتقدمة مع مفرزة من العدو قرب اشريريك.

فشكل الملازم *Bedrines* فورا المربع، وسارع إلى الأمام بعد ما ترك المطايا في حراسة ٢ من الرماة و٣ من البيضان.

وفورا أحاط - العدو الذي تلقي تعزيزات فيما يبدو- بالمفرزة، مستفيدا من أرضية مناسبة، من كثبان عالية متراكمة لاخفاء تحركاته.

وفورا دارت معارك عنيفة، فقتل الأوربيان اللذان كانا في المفزرة: الملازم *Bedrines*والعريف، *Balizet* وذلك لأول وهلة.

وهاجم العدو في نفس الوقت حرس المطايا، وتسبب الحادث في تفرق الحراس الذين هرعوا إلى الجمال، واستطاع ثمانية منهم امتطاء مطاياهم وهربوا، والقناصة الباقون وحدهم والذين فقدوا قوادهم قاوموا ببطولة، ولكنهم سقطوا جميعهم تقريبا. كانت المعركة قصيرة، وكانت الجروج بالسيوف في أحشاء القتلي تدل على التحام بالأجساد عنيف.

وقد كلفتنا هذه العملية :

٢٣ قتيلا منهم أوربيان و٦ جرحى و٦ مفقودين واستولي العدو على ٣٧ بندقية من نـــوع *Carabine* وعدة آلاف من الرصـــــاص و٤٢ جملا.

هذه العملية المؤسفة أوضحت بجلاء أكثر، الفروق بين أساليبنا في المعارك وبين أساليب هؤلاء البدو. واستخلص المقدم *Lame* القائد العسكري لموريتانيا منها المعلومات التالية:

"من جهة أخرى، فإن تراجع الحرس الذي لا يزال سليما وهروبه، لا يمكن اعتباره هزيمة، إذا أخذنا في الاعتبار العقلية الفطرية لدى البيضان الذين لا يعتبرون ملزمين بالثبات في المعركة عند خط النار، أو في المربع، إذا كانت مطاياهم معرضة للنهب، أو إذا كان خط الانسحاب مهددا.

فأسلوب المعركة للحرس، يجب أن يكون بدقة هو ما يتبعه اركيبات، ويبدوا أن الملازم *Berdines* كان قد فكر فعلا، لو كان لديه الوقت في أن يترك الحرس ومطاياهم أحرارا منذ الوهلة الأولى للعملية، ويكلفهم بمهاجمة العدو من الجنب أو من الخلف، أو محاولة الإستيلاء على جماله لإرغامه على توقيف المعركة تحت إطلاق النار من قناصتنا".

والعصابة الثانية، التي لوحظت؛ عصابة ولد حمادي. فقد كانت تتألف من زهاء المائة من البنادق، وهاجمت مخيم أهل احجور قرب تجكجة، وفقدت كثيرا من رجالها، وانقسمت بعد ذلك، ونهبت بين تكانت وآدرار ثم في الترارزة قريبا من السباعية، حيث تقصد قطعان عديدة، فانبرى ولد الديد ومحاربوه في مطاردتهم، ولكنهم ضلوا في اتجاه غير صحيح، وسارعت العصابات نحو الشمال ونجحت في الإفلات من كتيبة تيشيت.

وفي أكتوبر ونوفمبر، هزمت بقايا غارة كبيرة، بعد ما استطاعت أن تقضي على مفرزة من الجمالة لدى دايت إلى الشمال من تومبكتو، فهزمت بدورها في المرة الأولى لدى فاكبين، حيث فقدت جزءا من محاربيها وكافة غنائمها ثم هزمت في الحوض من قبل جمالة النعمة الذين انبروا في ملاحقتها، ووصلوا منهوكين إلى الأجزاء الشرقية من لعصابة وتكانت. وهربوا إلى الشمال حيث تكبدوا خسائر جديدة. ومر فريق من هؤلاء الناهبين بالغلاوية إلى الشرق من وادان، فدمرته جمالة آدرار.

❊ ❊ ❊ ❊

الهجوم على موقع انواذيبو ٢٦ مارس ١٩٢٤

بسبب النجاح الذي حصل في اشريريك، قرر وجاهه القيام بمشروع جريئ، يقضي بمهاجمة موقع(انواذيبو) حيث حصل له العلم عن طريق بعض البيضان الذين كانوا في خدمتنا؛ أولاد ادليم المفصولين عن العمل في المصائد، بأنه سيجد هنالك أسلحة وذخيرة، لا في المركز نفسه فقط، ولكن أيضا في ملحقات الموقع التابعة للمصلحة المحلية.

ويشمل تجمع(انواذيبو) في خليج *Bais du Levrier* المركز العسكري ومؤسسات شركة الصيد العام وبعض البنايات التجارية ومحطة *TSF* للإتصال.

وحامية الموقع قوامها ٨٠ قناصا يؤطرهم ملازم وضابطا صف فرنسيون. وكان الجيش القوي المؤلف من زهاء ١١٠ بنادق قد تجمع في شمال إقليم وادي الذهب. ودون أن يخرج من الإقليم الاسباني سالكا الشاطئ، وصل ليلة ٢٦ من مارس ليلا قبل طلوع القمر إلى بعد ٣ كلم من الموقع.

وبعد ما تركت جمالها في حراسة بعض الرجال، انقسمت العصابة إلى ثلاث مجموعات، عليها أن تهاجم الموقع من ثلاث جهات بصورة متزامنة، وبدأت فورا بالسير نحو الاقتراب في صمت خلال الليل.

ولحسن الحظ طلع القمر في أثناء ذلك، وعند الساعة الثانية والنصف تقريبا أبصر أحد الخفر أشكالا معتمة تزحف إلى نحو ٥٠ مترا من سور الحائط، فأطلق النار، وأعطي إشارة الإنذار، فانقض المهاجمون فورا يصيحون ويطلقون النار بكثافة.

فتم اكتساح ملحقات الموقع التي لم تكن محمية بما فيه الكفاية، لأن حائطها كان قليل الإرتفاع، ولكن الحامية التي استقرت فورا احتلت بسرعة وفي هدوء تام مواقعها من المعركة، فنظم الملازم *Le Rumeur* قائد الموقع المعركة ضد المهاجمين. وبعد معركة ضارية دامت زهاء ثلاث ساعات قرر هؤلاء المهاجمون مغادرة الميدان تاركين ٥ جثث وجريحا داخل ملحقات الموقع. ويدل وجود آثار للدماء الكثيرة خارج الموقع على أن عدد الجرحي الذين استطاعوا الفرار كثير.

من جهتنا نحن، فقدنا قناصا واحدا وجرح رقيب فرنسي وقناصان، ولم تكن حامية(انواذيبو) تملك أي فرقة راكبة، ولذلك لم تفكر في مطاردة الهاربين.

إن هذه الصفعة الموجهة إلى (غز وجاهة) كانت عملا رائعا لنجاعة مفرزة انواذيبو، ويقظة قائدها التي لم تتلاش قط، لحسن الحظ. بالرغم من السنوات الطوال من الهدوء الذي عاشت فيه هذه المنطقة.

وحسب المعلومات التي أفاد بها البيضاني الجريح المأسور، والمعلومات التي حصل عليها بعد ذلك من قبل قسم الاستخبارات الموريتانية، فإن هذا(الغز) كان قد تألف في اجريفيه في إقليم وادي الذهب، وتم اكتتاب كثير منه من القبائل البيضانية القاطنة في المستعمرة الإسبانية، وقد سلك خط سير في منطقة إسبانية حتى وصل إلى انواذيبو ليفلت من أي رقابة من قبلنا، مما مكنه من أن يصل دون أن يكشف أمره إلى موقعنا.

إن هذا الحدث يثير مرة أخرى السلبيات الكثيرة التي يسببها لنا الجوار مع الأقاليم الإسبانية.

إن المنشقين المتأكدين من عدم إزعاج الحاميات الراجلة في وادي الذهب والتي لم تغادر الشاطئ قط، يمكنهم بكل حرية تدبير الغارات والغزوات.

وأولئك الذين هم في المنطقة الفرنسية من زمور، لكي يستفيدوا من نفس وضعية الأمن، يرحلون مخيماتهم إلى إقليم وادي الذهب قبل الذهاب في الغارات. كل هؤلاء الغزاة ينظمون هنا في الأقاليم التابعة للسلطة الإسبانية العصابات التي تغدوا لنهب البلاد المجاورة وممارسه تهريب السلاح بكل حرية.

وإذا تطاردهم مفارزنا الجمالة فإنهم يلجأون إلى بلاد أجنبية، حيث تلزم فرقنا الأمنية بالتوقف عند حدودها.

وبعد إخفاقه، قام (غز) انواذيبو بنهب مخيمات من السكان المحليين قرب الميدور، وصعد بغنائمه: ١٠٠٠ من الجمال و١٥ عبدا عن طريق اعكيلت اكداب والفارس ربما نحو اجريفية؛ نقطة انطلاقه.

وكتائبنا النظامية التي استنفرت فورا، لم تستطع متابعة المنشقين ولا قطع طريق العودة، لانهم تلقوا الأوامر بالعودة أدراجهم وعدم دخول الأقاليم الإسبانية.

وبعثت مجموعة من مناصري آدرار فورا في منطقة دومس لمراقبة عودة العصابة.

وكان على جمالة آدرار والترارزة أن تنطلق في نفس المنطقة لمساعدتهم، ولم يهتم المناصرون بملاقات الغزاة، ولم يكونوا يبحثون عن اللحاق بهم، وإنما اتجهوا نحو المخيم الذي أمد العصابة بالمحاربين، فنهبوه وحرروا قناصا كان أسيرا يوم الشريريك وعبدين مستقدمين من السودان، واستعادوا أمتعة للملازم *Bedrines*.

❋ ❋ ❋ ❋